الفصل الثالث

جهود الشيخ الأمين في توضيح توحيد الأسماء والصفات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

جهوده في إبراز عقيدة السلف في الصفات وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الثاني : الأسس التي يقوم عليها معتقد السلف في الصفات .

المطلب الثالث : قواعد في الصفات .

المطلب الرابع :ذكر جملة من الصفات التي ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله .

المبحث الثاني

موقفه من أهل التأويل

وفيه مطالب :

المطلب الأول : معاني التأويل .

المطلب الثاني : بعض شبه أهل التأويل، وردّ الشيخ الأمين رحمه الله عليها .

المطلب الثالث : مقارنة بين مذهب السلف والخلف .

المطلب الرابع : رجوع بعض أئمة أهل التأويل إلى معتقد السلف .

الفصل الثالث

جهود الشيخ رحمه الله في توضيح توحيد الأسماء والصفات

تمهيد :

إنّ توحيد الأسماء والصفات من أصول دين الإسلام الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.

وتوحيد الأسماء والصفات أحد أقسام التوحيد الثلاثة الذي لا يتم الإيمان إلا به، والله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه. والطريق إلى معرفة الله يكون بمعرفة أسمائه وصفاته، والتعبد بها، وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته به.

والله تبارك وتعالى وصف لنا نفسه سبحانه، ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم. وليس لنا طريق لمعرفته إلا الكتاب والسنة؛ لأن الله لا يرى في هذه الدنيا؛ كما قال تعالى: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾[1]، وكما قال صلى الله عليه وسلم: «إنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت»[2].

فهذا النوع من التوحيد من أشرف العلوم، وبمعرفته يتم إيمان العبد. وهو يستلزم أن لا يعبد إلا الله، ولا يتوجه إلا إليه سبحانه؛ فهو إذاً مستلزم لتوحيد الألوهية؛ فإذا أخبرنا الله بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، وبأنه الخالق والرازق، والمعطي والمانع فهذا يستلزم أن لا نصرف شيئاً من العبادة إلا إليه، وأن لا نشرك به أحداً جلّ وعلا.

---

(١) سورة الأعراف، الآية [١٤٣].

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٤٥)، والترمذي(٤/ ٥٠٨).

وللإمام ابن القيم رحمه الله كلام نفيس حول هذا المعنى يقول فيه رحمه الله: «فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها؛ أعني من موجبات العلم بها، والتحقق بمعرفتها وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح؛ فعلم العبد بتفرد الربّ تعالى بالضر والنفع، والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة: يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً. وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كلّ ما لا يرضي الله»[1].

ثم يذكر بعض الصفات وآثارها، ويختم كلامه بقوله: «فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»[1].

ولذلك فأهمية هذا التوحيد في حياة المسلم عظيمة، وآثاره في الكون جليلة.

وقد تكفل الله بإظهار دينه، وبحفظه عن التبديل والتحريف حتى يبقى الدين كله لله، وهيأ له العلماء الذين يذودون عنه تحريف الغالين، وتلبيس الجاهلين، وانتحال المبطلين، فكلما ظهرت بدعة قيض الله لها من كشف زيفها وضررها على الدين؛ لأنه لا رسول ولا نبي بعد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم. وبذلك بقي معتقد السلف ظاهراً وواضحاً لالبس فيه ولا خفاء.

وقد اهتم علماء السنة بهذه العقيدة؛ فمنهم من ألف في تسهيلها وتوضيحها المؤلفات العظيمة، ومنهم من ردّ على من خاض فيها بغير علم

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٤٩١ - ٤٩٢.

ودعا إلى غير هدى.

ومن هؤلاء العلماء : الشيخ محمد الأمين رحمه الله، الذي نصر عقيدة أهل السنة والجماعة بلسانه وقلمه، وذاد عن حماها كلّ معطل ومحرف ومشبه، وقلّ أن يخلو كتاب من كتبه من اهتمام بعقيدة السلف، ودعوة إليها ؛ كما مر معنا عند الكلام على جهوده في إبراز توحيد الألوهية واهتمامه به، وكما سيظهر لنا في هذا الفصل من اهتمامه بتوحيد الأسماء والصفات.

ومن أول الأمور الدالة على اهتمام الشيخ الأمين رحمه الله بهذا النوع من التوحيد، والتي يلاحظها الباحث عند قراءته في مؤلفاته أنه جعل البحث في الصفات نوعاً من أنواع بيان القرآن بالقرآن ؛ فيقول رحمه الله : «ومن أنواع البيان المذكور في هذا الكتاب المبارك، وهو من أهمها : بيان أنّ جميع ما وصف الله به نفسه في هذا القرآن العظيم من الصفات ؛ كالاستواء، واليد، والوجه، ونحو ذلك من جميع الصفات : فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً، مع تنزيهه جلّ وعلا عن مشابهة صفات الحوادث سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيراً. وذلك البيان العظيم لجميع الصفات في قوله جلّ وعلا : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1] ؛ فنفى عنه مماثلة الحوادث بقوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، وأثبت له الصفات على الحقيقة بقوله : ﴿وهو السميع البصير﴾»[2].

ومن اهتمامه بهذا النوع من أنواع التوحيد : إبرازه وإيضاحه بأسلوب عربي بعيد عن مصطلح أهل الكلام ؛ لتكون الفائدة في الانتفاع به أعمّ : يقول رحمه الله : «وقد أردنا أن نوضحها هنا باختصار بأسلوب عربي خال

---

(١) سورة الشورى ، الآية [١١].
(٢) أضواء البيان ١/ ٨١-٨٢

من اصطلاح أهل المنطق وأهل البحث والمناظرة، لينفع الله بذلك من أراد هدايته من خلقه»[1].

لذلك نراه رحمه الله يكره التعمق في آيات الصفات مشيراً إلى أن ذلك هو طريق السلف، فيقول رحمه الله: «اعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات، وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف»[2].

لأن عقيدة السلف واضحة تقوم على نصوص الكتاب والسنة، بعيدة عن شبه المعطلين والمشبهين، وتربط المسلم بسلفه الصالح، وتحجزه عن أن يتكلم في ذات الله وصفاته بغير علم.

لذلك نرى الشيخ رحمه الله مستاءً من ابتعاد كثير من الناس عن طريق السلف الصالح، وانتهاجهم طريقة أهل المنطق التي توقع صاحبها في تعطيل الله عن صفاته؛ يقول رحمه الله: «أما هذا الكلام الذي يدرس في أقطار الدنيا اليوم في المسلمين، فإن أغلب الذين يدرسونه إنما يثبتون من الصفات التي يسمونها صفات المعاني سبع صفات فقط، وينكرون سواها من المعاني»[3].

لذا فقد اعتنى الشيخ رحمه الله بإظهار العقيدة الصحيحة، والذبّ عنها؛ فقد أبرز رحمه الله الأسس التي يقوم عليها منهج الأسماء والصفات عند السلف، وأنّ الضابط هو الكتاب والسنة؛ فكلّ ما ثبت فيهما من الصفات يوصف به الله على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى. وكذلك فقد أبان رحمه الله عن كثير من الصفات بالتفصيل وفق العقيدة الصحيحة، مبينا أدلتها، وسهولة مأخذها وأنها بعيدة عن شوائب التشبيه والتعطيل.

---

(١) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٢٧.
(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٩.
(٣) المصدر نفسه ص ١٣.

ثم نراه رحمه الله يبيّن خطأ طريقة المتكلمين في الصفات، موضحا شبههم، ورادا عليهم. وقد أثبت رجوع كثير من أئمتهم في أواخر حياتهم مؤيدا ذلك بنقولات من كتبهم.

وفي الأخير يعقد مقارنة بين مذهب السلف وبين الخلف مبرزا مذهب السلف، مشيرا إلى أنه هو الأسلم والأحكم والأعلم، وأنه المنجي يوم القيامة، موضحا الأخطاء التي وقع فيها أهل التأويل، وأنّ الاعتقاد فيهم أنهم اجتهدوا فأخطأوا فكان قصدهم حسنا، غير أنّ طريقهم سيئ.

هذه أبرز النقاط التي تحدث عنها الشيخ رحمه الله عند كلامه على توحيد الأسماء والصفات.

وقد قمت بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين: تكلمت في الأول عن جهود الشيخ رحمه الله في إبراز عقيدة السلف في الأسماء والصفات، وفي الثاني عن موقفه رحمه الله من أهل التأويل.

المبحث الأول

جهود الشيخ في إبراز عقيدة السلف في الصفات

المطلب الأول

تعريف توحيد الأسماء والصفات

يقوم هذا التعريف على أساسين، ذكرهما الله في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾[1]، وهما: إثبات صفات الكمال كما جاءت بالسمع، ونفي صفات العيوب والنقص. وقد اعتمد الشيخ رحمه الله على هذه الآية عند تعريفه لهذا النوع من أنواع التوحيد؛ فقد أثبت الأسماء والصفات لله كما جاءت في الكتاب والسنة، مع نفي صفات النقص والعيوب. قال رحمه الله عند تعريفه لأنواع التوحيد: (النوع الثالث): هو توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته. وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين، كما بينه جلّ وعلا: (الأول): هو تنزيهه تعالى عن مشابهة صفات الحوادث.

(الثاني): هو الإيمان بكل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، حقيقة لا مجازا على الوجه اللائق بكماله وجلاله.

ومعلوم أنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله، والله يقول: ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾[2]، ويقول عن رسوله: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[3]، فقد بيّن تعالى نفي المماثلة عنه بقوله ﴿ليس كمثله شيء﴾، وبين إثبات الصفات له على الحقيقة بقوله: ﴿وهو السميع البصير﴾، فأول الآية يقضي بعدم التمثيل،

---

(١) سورة الشورى، الآية [١١].
(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٠).
(٣) سورة النجم، الآيتان (٣ - ٤).

وآخرها يقضي بعدم التعطيل. فيتضح من الآية أنّ الواجب إثبات الصفات حقيقة من غير تمثيل، ونفي المماثلة من غير تعطيل. وبيّن عجز الخلق من الإحاطة به جلّ وعلا، فقال: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما﴾[1] . . . »[2].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: (إنّ الحقّ الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة إثبات هذه الصفات التي أثبتها تعالى لنفسه، والإيمان بها من غير تكييف[3]، ولا تشبيه[4] ولا تعطيل[5]، ولا تمثيل[6] . . . »[7].

ويزيد رحمه الله هذا المعنى إيضاحا، مبينا الطريقة الصحيحة لفهم الصفات، والضابط الذي نميز به صفات الله سبحانه وتعالى حتى نعتقدها في قلوبنا، ونتعبد بها في جوارحنا، فيقول: (ومن اعتقد أنّ وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال. ومن أثبت ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم مع تنزيهه جلّ وعلا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا هي قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، فنفى عن نفسه جلّ وعلا مماثلة الحوادث بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﴿وهو السميع البصير﴾، فصرح في

(١) سورة طه، الآية (١١٠).

(٢) محاضرة (الإسلام دين كامل) ص ٩ - ١٠. وانظر أضواء البيان ٢/ ٣٢١، ٣/ ٤١١. ومنع جواز المجاز - الملحق بأضواء البيان ١٠/ ٥٤ -.

(٣) التكييف: هو تعيين كيفية الصفة.

(٤) التشبيه: هو تشبيه الشيء بالشي لمشابهته من بعض الوجه وهو يقتضي التماثل.

(٥) التعطيل: هو نفي الصفات، أو بعضها عن الله سبحانه وتعالى.

(٦) التمثيل: هو أن يقال: إنّ صفات الله مثل صفات المخلوقين، كأن يقول: يد الله كأيدينا. فالمماثلة تقتضي المساواة من كلّ وجه، بخلاف المشابهة. وقد أخذت هذه التعريفات الأربعة من التحفة المهدية لابن مهدي ص ٢٥٩. وشرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان ص١٤.

(٧) منع جواز المجاز ص٩.

هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال»[1].

وقال الشيخ الأمين رحمه الله في موضع آخر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان﴾[2]: فنحن معاشر المسلمين نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، ونثبت له ما أثبت لنفسه، منزهين خالق السموات والأرض عن مشابهة الخلق، فلا نميل إلى التعطيل، ولا إلى التمثيل، بل نقرّ بصفات الله ونؤمن بها على سبيل مخالفة صفات الخلق، كما علمنا الله في قوله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[3]. . . »[4].

وهذا المسلك الذي سلكه الشيخ الأمين رحمه الله في توضيحه لتعريف توحيد الأسماء والصفات، هو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: (فالأصل في هذا الباب - توحيد الصفات - أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أنّ طريقة سلف الأمة وأئمتها: إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل. وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه»[5].

وقال العلامة السفارينى[6] رحمه الله في تعريفه لهذا التوحيد: (توحيد الصفات: أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم نفيا وإثباتا، فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن

---

(١) أضواء البيان ٢/ ٣٠٥. وانظر: المصدر نفسه ٣/ ٤١١.

(٢) سورة التوبة، الآية [٢١].

(٣) سورة الشوري، الآية [١١].

(٤) الوجه الثاني، من الشريط رقم [٢]، الخاص بتفسير سورة التوبة.

(٥) العقيدة التدمرية ص٧.

(٦) هو العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفارينى. ولد في سفارين عام (١١١٤هـ)، وتوفي في نابلس سنة (١١٨٨ هـ)، (انظر: الأعلام ٦/ ١٤. ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٦٢).

نفسه»[1].

وبهذا يتضح لنا أنّ الشيخ الأمين رحمه الله متبع لمنهج أهل الحق الذي هو وسط بين المعطلة والممثلة.

(١) لوامع الأنوار البهية ١/ ١٢٩.

المطلب الثاني

معتقد السلف في الصفات يقوم على ثلاثة أسس

إنّ من الأمور الأساسية لفهم العقيدة، ذكر المبادئ التي تقوم عليها، والضوابط المميزة لها، فهي المعيار الذي يعرف به قرب الشخص أو بعده في تحقيق العقيدة الصحيحة. وعقيدة السلف في الصفات تقوم على أسس عظيمة حرص الشيخ الأمين رحمه الله على إبراز ها، والإشارة إلى أهميتها، وأكد أنّ من أحرز تلك الدعائم الثابتة فهم الصفات كما فهمها السلف الصالح. وبيّن أنها الطريق الوحيد التي تأخذ بالعبد بعيدا عن أهل التعطيل والتشبيه.

وقد أوضح رحمه الله أنّ هذه الأسس قائمة على الكتاب والسنة التي من اعتقدها ورعاها فقد أخذ بعقيدة الصفات طرية كما جاءت من عند الله، وفاز بثواب الدنيا والآخرة.

قال رحمه الله: ((اعلم أن المعتقد الصحيح المنجي عند الله في آيات الصفات هو ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، وهو مقتضى نصوص القرآن العظيم. وهو مبنيّ على ثلاثة أسس، كلها صرح الله بها في كتابه عن نفسه، وصرح بها رسوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة، ولا يصف الله أعلم بالله من الله:

﴿أأنتم أعلم أم الله﴾[1]. ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم الذي قال سبحانه في حقه: ﴿وما ينطق عن الهوى إن

(١) سورة البقرة، الآية [١٤٠].

هو إلا وحي يوحى﴾ [1] . .))[2] .

وهذه الأسس التي أبرزها الشيخ رحمه الله لكلّ من أراد أن يفهم عقيدة السلف في الصفات : ثلاثة :

(الأول) : تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

(الثاني) : الإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة .

(الثالث) : قطع الطمع عن إدراك الكيفية .

وقد كررها الشيخ الأمين رحمه الله مرارا في مؤلفاته ومحاضراته ودروسه ، حتى ترسخ في أذهان الناس ، فتنعقد في قلوبهم .

وهذه الأسس كفيلة لمن أخذ بها أن يكون متمسكا بالعروة الوثقى ، فهي طريق سلامة ، آمن من سلكها .

قال الشيخ رحمه الله موضحا أول هذه الأسس : ((هو تنزيه خالق السموات والأرض جلّ وعلا عن مشابهة خلقه في شيء من ذواتهم أو صفاتهم أو أفعالهم سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا . وهذا الأساس الأعظم للعقيدة الصحيحة ، صرح الله به في قوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾[3] ، وقوله : ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾[4] ، وقوله : ﴿هل تعلم له سميا﴾ [5] ، وقوله : ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾[6] .

ومن وفقه الله لفهم هذا الأساس الأعظم ، ونزه خالقه عن مشابهة الخلق تنزيها تاما جازما به قلبه ، فإن قلبه يكون طاهرا من أقذار التشبيه ، وتكون عقيدته مبنية على أساس صحيح ، وهو تنزيه خالق السموات والأرض عن

---

(١) سورة النجم ، الآيتان [٣ - ٤] .
(٢) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٢٧ .
(٣) سورة الشورى ، الآية (١١)
(٤) سورة الإخلاص ، الآية (٤) .
(٥) سورة مريم ، الآية (٦٥) .
(٦) سورة النحل ، الآية (٧٤) .

مشابهة خلقه، في ضوء قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، ونحوها من الآيات. فإذا استحكم هذا الأساس الأعظم في قلب المؤمن كان استحكامه فيه سببا لتوفيقه للأساس الثاني))[1].

ثمّ بيّن رحمه الله الأساس الثاني، فقال: ((ونعني بالأساس الثاني المذكور تصديق الله فيما أثنى به على نفسه، وتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أثنى على ربه، والإيمان بتلك الصفات الثابتة في القرآن العظيم والسنة إيمانا مبنيا على أساس ذلك التنزيه))[2].

ثم يزيد رحمه الله هذين الأساسين إيضاحا، ويشرع في شرحهما شرحا وافيا فيقول: ((فهذان أساسان عظيمان: الأول: تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، والثاني: الإيمان بصفاته الثابتة في الوحي الصحيح إيمانا مبنيا على أساس ذلك التنزيه، بعيدا كل البعد عن مشابهة الخلق، وكيف يخطر في ذهن المؤمن العاقل مشابهة الخلق لخالقهم، فالصنعة لا تشبه صانعها بحال، وهذان الأساسان أوضحهما الله في محكم كتابه إيضاحا لا يترك في الحق لبسا ولا شبهة، وذلك في قوله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ لأن قوله: ﴿وهو السميع البصير﴾ بعد قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فيه سر أعظم، وتعليم أكبر في أوضح عبارة وأوجزها لا يترك في الحق لبسا.

وإيضاح ذلك أنّ السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر صفتان يتصف بهما جميع الحيوانات ـ ولله المثل الأعلى ـ فكأنّ الله يقول: يا عبدي لا يخطر في عقلك أن سمعي وبصري يشابهان أسماع المخلوقين وأبصارهم حتى تقول إنّ هذا النص يوهم غير اللائق فتؤوله أو تنفيه، بل أثبت لي سمعي وبصري كما أثنيت بهما على نفسي إثباتاً مبنيا على أساس التنزيه،

---

(١) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٢٨.

ولاحظ في ذلك قولي قبله: ﴿ليس كمثله شيء﴾. وهذا تعليم قرآني لا يترك في الحق لبسا ولا شبهة، فأول الآية الكريمة الذي هو: ﴿ليس كمثله شيء﴾ تنزيه تام غير تشبيه ولا تمثيل، فيجب علينا أن نعتقد ما دلّ عليه أولها من التنزيه، وما دلّ عليه آخرها من إثبات الصفات، والإيمان بها على أساس ذلك التنزيه. فلا نتنطع بين يدي خالقنا وننفي عنه صفة الكمال (التي) أثنى بها على نفسه، ولا نشبه خالقنا بخلقه، بل نجمع بين التنزيه أولا والإيمان بالصفات ثانيا حسبما دلت عليه آية ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾))[1].

وبعد هذا الشرح المستفيض من الشيخ رحمه الله لهذين الأساسين العظيمين يوضح الأساس الثالث فيقول رحمه الله: ((هو أن تعلم أن العقول البشرية عاجزة عن إدراك كيفية اتصاف الله جلّ وعلا بتلك الصفات، لأن قوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما﴾[2] صريح في أن إحاطة علم البشر به جلّ وعلا منفية نفيا باتا قرآنيا))[3].

ثم يبين رحمه الله أن من أخلّ بأحد هذه الأسس فقد جانب الصواب، وسار على غير هدى، فيقول ـ مخبرا عن هذه الأسس ـ: ((من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخلّ بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضلّ))[4].

---

(١) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) سورة طه، الآية (١١٠)

(٣) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٢٨، وانظر هذه الأسس الثلاثة أيضاً في (منهج ودراسات) ص ٩ ـ ١٠ ومعارج الصعود ص ١١٤. وتفسير سورة النور ـ جمع د/ عبدالله قادري ـ ص ١٣٨ ـ ١٤٠.

(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ص٩.

أما من تمسك بجميع هذه الأسس العظيمة فقد سار على طريق سلامة محقق. وهو ناج يوم العرض الأكبر، لأنه قد استنار بالكتاب والسنة.

قال رحمه الله: ((لو متم يا إخواني وأنتم على هذا المعتقد أترون الله يوم القيامة يقول لكم: لم نزهتموني عن مشابهة الخلق ويلومكم على ذلك؟ لا وكلا، والله لا يلومكم على ذلك. أترون أنه يلومكم على أنكم آمنتم بصفاته وصدقتموه فيما أثنى به على نفسه ويقول لكم: لم أثبتم لي ما أثبت لنفسي، أو أثبت لي رسولي؟ لا والله لا يلومكم على ذلك، ولا تأتيكم عاقبة سيئة من ذلك. وكذلك لا يلومكم الله يوم القيامة ويقول لكم: لم قطعتم الطمع عن إدراك الكيفية ولم تحددوني بكيفية مدركة))[1].

وبهذا الأسلوب الرائع من الشيخ رحمه الله في عرضه العقيدة الصحيحة في الصفات، وبسطه لها بالكلام المقنع، ووضع القارئ أمام الأمر الواقع، وأنه سيقف أمام الله يوم القيامة. فمن أخذ بتلك الأسس فإنه سوف يستمسك بالأسباب المنجية. ولكنّ الخوف كل الخوف على من حاد عنها فعطل أو حرف أو شبه، فماذا يكون جوابه عن ذلك يوم الفزع الأكبر.

وبهذه الحجة المقنعة من الشيخ رحمه الله نستطيع أن ندرك ما كان رحمه الله يتمتع به من عقلية فذة، وعلم واسع، وحجة قوية، وفهم لعقيدة السلف، وحرص على العمل بها ونشرها بين الناس.

وبعد أن فهمنا هذه الأسس العظيمة كما قررها الشيخ الأمين رحمه الله، ولبيان سلامة فهم الشيخ، واتباعه لمنهج السلف، وبعده عن سواه من المناهج المبتدعة أختم الكلام بإيراد بعض أقوال السلف التي تؤيد ما ذكره الشيخ رحمه الله. وتدلّ على أنه مقتف آثار السلف الصالح، وعلى نهجهم يسير، وإلى ما ذهبوا إليه يذهب.

فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: (لله أسماء وصفات لا يسع أحدا

(١) المصدر نفسه صـ ٤٤ - ٤٥. وانظر: آداب البحث والمناظرة ١/ ١٣٠.

ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر. وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل: لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿ليس كمثله شيء﴾[1]» [2].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري[3] رحمه الله: (وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكييف له لازم)[4].

وقال الإمام ابن خزيمة[5] رحمه الله: (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقرّ بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عزّ ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجلّ ربنا

---

(١) سورة الشورى، الآية (١١)

(٢) فتح الباري ١٣/ ٤١٨. وانظر طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٣.

(٣) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، ينتسب إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكنيته أبو الحسن، ولد في البصرة سنة (٢٦٠ هـ)، وتوفي على القول الراجح سنة (٣٢٤ هـ) في بغداد. وكان له ثلاث أحوال: كان في أولاها معتزليا، وسلك في الثانية مذهب ابن كلاب، ورجع أخيرا إلى معتقد السلف، وألف عدة كتب في نصرة معتقدهم، ككتاب الإبانة ورسالة إلى أهل الثغر، ومقالات الإسلاميين.
(انظر: البداية والنهاية ١١/ ١٩٩. وشذرات الذهب ٢/ ٣٠٣. ومقدمة تحقيق د/ عبدالله شاكر لرسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري).

(٤) رسالة إلي أهل الثغر صـ ٢٣٦.

(٥) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري الإمام الحافظ الحجة. كان سلفي العقيدة على طريقة أهل الحديث. من مصنفاته: كتاب التوحيد، وكتاب الصحيح. توفي سنة (٣١١ هـ).
(انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٥. والبداية والنهاية ١١/ ١٦٠. وشذرات الذهب ٢/ ٢٦٢).

عن مقالة المعطلين، وعزّ أن يكون عدماً كما قاله المبطلون ؛ لأن ما لا صفة له : عدم. تعالى الله عما يقوله الجهميون)[1]

وقال حافظ المغرب الإمام ابن عبدالبر[2] رحمه الله : (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحددون فيه صفة محصورة)[3].

وقال ابن قدامة المقدسي[4] رحمه الله تعالى : «وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله»[5]

وقال القاضي أبو يعلى[6] رحمه الله : «واعلم أنه لا يجوز ردّ هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية. والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وغيره من

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٦.

(٢) هو الإمام يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر. من كبار حفاظ الحديث. ولد بقرطبة سنة (٣٦٨ هـ)، وتوفي سنة (٤٦٣ هـ)، له مؤلفات عظيمة، منها التمهيد، والاستيعاب. قال الذهبي عنه، «كان في أصول الديانة على مذهب السلف، ولم يدخل في علم الكلام».
(انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣. وشذرات الذهب ٣/ ٣١٤).

(٣) التمهيد ٧/ ١٤٥.

(٤) هو الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي. ولد سنة (٥٤١ هـ)، وكان عالم أهل الشام في زمانه. قال ابن النجار: «كان إمام الحنابلة بجامع دمشق» توفي بدمشق سنة (٦٢٠ هـ) من مؤلفاته: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، وذمّ التأويل، والمغني.
(انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥. وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ١٣٣. وشذرات الذهب ٥/ ٨٨).

(٥) لمعة الاعتقاد ص١٠.

(٦) هو القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي الفراء. شيخ الحنابلة، وعالم العراق في زمانه. توفي سنة (٤٥٨هـ).
(انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٨٩. وطبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣. والبداية والنهاية ١٢/ ١٠١).

أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا في هذه الأخبار : أمروها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين»[1]

وقال الإمام ابن كثير[2] رحمه الله : «وأما قوله تعالى : ﴿ثم استوى على العرش﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا بموضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي[3] ، والثوري[4] ، والليث بن سعد[5]، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه[6]. وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو : إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفيّ عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[7].

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات ١/ ٤٤ .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي . كان صاحب سنة واتباع، وله مذهب خاص في الفقه ، عمل به فقهاء الشام والأندلس مدة . ولد سنة (٨٨)، وقيل سنة (٩٣) في بعلبك، ونشأ بالبقاع، ثم نقلته أمه إلى بيروت، وبها توفي سنة (١٥٧هـ) .
(انظر : وفيات الأعيان ٣/ ١٢٧ . وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧ . وشذرات الذهب ١/ ٢٤١).

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث . من أئمة المسلمين وأعلام الدين مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد، وهو أحد الأئمة المجتهدين ولد سنة (٩٧)، وتوفي سنة (١٦١هـ) على القول الصحيح .
(انظر : البداية والنهاية ١٠/ ١٣٧ . وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩ - ٢٧٩).

(٥) الليث بن سعد بن عبد الرحمن . أبو الحارث . إمام حافظ عالم الديار المصرية . كان فقيهاً كثير العلم، صحيح الحديث، مع الورع والفضل . توفي سنة (١٧٥هـ)، (انظر : سير أعلام النبلاء ٨/ ١٣٦ . وشذرات الذهب ١/ ٢٨٥).

(٦) هو الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي ثم الحنظلي المروزي، المعروف بابن راهويه . نزيل نيسابور . ولد سنة (١٦١)، وتوفي سنة (٢٣٨هـ). قال عنه الإمام أحمد : «لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيراً» . (انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٥٨ . والداية والنهاية ١٠/ ٣٣١).

(٧) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٠ .

وهكذا كانت طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم في جميع الصفات الثابتة لله بالكتاب والسنة : لا يعطلونها، ولا يحرفونها، بل يجرونها على ظاهرها مع عدم التعرض للكيفية، وكانوا يقولون عنها إنها لا تشابه صفات المخلوقين. وهم متفقون على هذا المنهج. وهو الذي سار عليه الشيخ الأمين رحمه الله تعالى، وجاهد من أجل إبرازه وتوضيحه وترسيخه في أذهان الناس، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه خير الجزاء.

المطلب الثالث

قواعد في الصفات

ذكر العلماء رحمهم الله قواعد وأصولاً يقوم عليها هذا النوع من أنواع التوحيد ؛ (أعني توحيد الأسماء والصفات). وقد حرصوا على استنباطها ووضعها بغية تسهيل فهم هذا العلم ومعرفته وحفظه.

ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بهذا الجانب : الشيخ الأمين رحمه الله ؛ فقد جعل لإثبات الصفات والردّ على المخالف قواعد ملزمة فيها تقرير للمعتقد الصحيح.

أولى هذه القواعد : القول في الصفات جميعها من باب واحد:

قال رحمه الله : «أولاً : أن يعلم طالب العلم أنّ جميع الصفات من باب واحد ؛ إذ لا فرق بينها البتة ؛ لأنّ الموصوف بها واحد. وهو جلّ وعلا لا يشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة، فكما أنكم أثبتم له سمعاً وبصراً لائقين بجلاله لا يشبهان شيئاً من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء ، والنزول ، والمجيء، إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه. واعلموا أن ربّ السموات والأرض يستحيل عقلاً أن يصف نفسه بما يلزمه محذور ويلزمه محال، أو يؤدي إلى نقص. كلّ ذلك مستحيل عقلاً ؛ فإنّ الله لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، على حد قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1]»[2].

(١) سورة الشورى، الآية [١١].

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٧. وانظر : أضواء البيان ٢/ ٣١٨. وآداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٦.

وهذه القاعدة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تتضمن إثبات الصفات جميعها، وتردّ على الأشاعرة الذين أثبتوا بعضها، ونفوا البعض الآخر. ففيها من الإلزام والقوة في الرد على المخالف ما يجعله يذعن ويستسلم للحقّ ممن ينشده، لأنّ من الأمور البديهية عدم التفريق بين المتماثلين إلا بدليل، وقد دل السمع والعقل على أنه لايجوز التفريق بين الصفات، وإلا كان تحكما وقولاً على الله بغير علم، وتنكبا للطريق المستقيم. فمن حاول أن يثبت البعض وينفي البعض الآخر فهو واقع في التناقض والاضطراب، وليس أمامه إلا أن يثبت جميع الصفات كما يليق بجلاله، لذلك يقول الشيخ الأمين رحمه الله: «فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيء، ولا صفة يد ولا أصابع، ولا عجب، ولا ضحك؛ لأنّ هذه الصفات كلها من باب واحد. فما وصف الله به نفسه منها فهو حقّ، وهو لائق بكماله وجلاله لايشبه شيئا من صفات المخلوقين. وما وصف به المخلوقون منها فهو حقّ مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم»[1].

وقد سبق الشيخ الأمين رحمه الله في تقرير هذه القاعدة وإيضاحها شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وردّ بها على من فرق بين الصفات، وهم الأشاعرة. فقال رحمه الله: «فإن كان المخاطب ممن يقر بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، يجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازاً، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات. قيل له:

لافرق بين ما نفيته وما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن قلت: إن إرادته مثل المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل، وإن قلت: له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به، قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات صـ٤٣.

وغضب يليق به ، وللمخلوق رضا وغضب يليق به »[1].

وخلاصة القول : أن هذه القاعدة العظيمة حجة لمن أثبت جميع الصفات على ما يليق بجلال الله وكماله، ولم يفرق بينها ؛ لأن طريقها واحد من حيث الإثبات ونفي المماثلة وعدم العلم بالكيفية؛ فالذي قال : ﴿وهو السميع البصير﴾[2] هو الذي قال : ﴿بل يداه مبسوطتان﴾[3]، والجميع لا نعلم كيفيته، لأنه قال سبحانه : ﴿ليس كمثله شيء﴾[4] . وقال : ﴿هل تعلم له سمياً﴾[5]، وقال : ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾[6] .

القاعدة الثانية : القول في الصفات كالقول في الذات[7]:

في هذه القاعدة يردّ الشيخ الأمين رحمه الله على الذين أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات ؛ وهم المعتزلة، فيقول لهم : كما أنكم تثبتون لله ذاتاً حقيقية على ما يليق بجلاله من غير تشبيه لذات الخالق بذوات المخلوقين، فكذلك صفاته ثابتة بنفس المنهج ونفس الطريقة، إذ لا يعقل أن توجد ذات مجردة عن الصفات، فكما أنّ لله ذاتاً لا تشابه ذوات المخلوقين، فكذلك لله صفات لا تشابه صفات المخلوقين .

وبهذه الطريقة نلزمهم إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وكماله .

وفي تقرير هذه القاعدة يقول الشيخ الأمين رحمه الله : «الثاني : أن تعلموا أن الصفات والذات من باب واحد ؛ فكما أننا نثبت ذات الله جلّ

---

(١) العقيدة التدمرية صـ٣١ .
(٢) سورة الشورى، الآية [١١].
(٣) سورة المائدة، الآية [٦٤].
(٤) سورة الشورى، الآية [١١].
(٥) سورة مريم، الآية [٦٥].
(٦) سورة الإخلاص، الآيتان [٣ - ٤].
(٧) راجع : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات صـ٣٨ . وأضواء البيان ٢/ ٣١٨ . ومعارج الصعود ص ١١٤ .

وعلا إثبات وجود وإيمان، لا إثبات كيفية مكيفة محددة، فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات إيمان ووجود لا إثبات كيفية وتحديد»[1].

وهذا ما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة التدمرية فقال: «القول في الصفات كالقول في الذات؛ فإنّ الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل صفات سائر الذوات»[2].

وهذا ما قرره أيضاً الخطيب البغدادي[3] رحمه الله حين قال: «أما الكلام في الصفات: فإن ما روي منها في السنن الصحاح، مذهب السلف رضي الله عنهم إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها . . . والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله. فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عزّ وجلّ إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف»[4].

وبهذا يتضح لنا أنّ الشيخ الأمين رحمه الله متبع للسلف مقتف لآثارهم، فهو حين يقرر هذه القاعدة يسلك مسلكهم ويتبنى ما قرروه،

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٣٨. وانظر: أضواء البيان ٢/ ٣١٨. ومعارج الصعود ص ١١٤.

(٢) العقيدة التدمرية صـ٤٣.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي الحافظ المحدث المؤرخ المعروف بالخطيب. أحد الأئمة الأعلام، وصاحب التواليف المنتشرة في بلاد الإسلام. من أشهر مصنفاته تاريخ بغداد. ولد سنة (٣٩٥هـ). وتوفي سنة (٤٦٣هـ).
(انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠. ووفيات الأعيان ١/ ٩٢. وشذرات الذهب ٣/ ٣١١).

(٤) ذم التأويل لابن قدامة صـ١٥. وكذا ذكر الذهبي كلام الخطيب في تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٤٢.

ويأخذ بهذه القاعدة العظيمة الملزمة لمن فرق بين الأسماء والصفات، أو بين الصفات والذات ؛ إذ لا يعقل أن نثبت الأسماء وننفي الصفات، أو نثبت الذات وننفي الصفات، إذ الجميع من باب واحد.

ولا ريب أن هذه القاعدة ملزمة للمعطل : إما أن يثبت الصفات كما أثبت الذات من غير معرفة الكيفية، أو ينفي ما أثبته من الأسماء أو الذات فيكون بذلك نافياً لوجود الله، لأنه فرق بين الذات وبين الصفات من حيث الإثبات.

القاعدة الثالثة : آيات الصفات ليست من المتشابه:

أراد الشيخ الأمين رحمه الله بإيراد هذه القاعدة أن يردّ على من قال بأنّ آيات الصفات من المتشابه. وهم المفوضة الذين يجعلون معرفة معاني آيات الصفات مما استأثر الله بعلمه، وبذلك لا يثبتون لها معاني صحيحة [1]، بل يقولون : إن هذه المتشابهات يجب القطع بأن مراد الله منها شيء يخالف ظاهرها، ويوجبون تفويض معناها إلى الله تعالى، ولا يجيزون الخوض في تفسيرها[2]. ويقولون أيضاً: إن صفات الله من العقائد التي لا يكتفى فيها بالظن، بل لابد من اليقين، ولا سبيل إليه. لذلك نتوقف ونكل التعيين إلى العليم الخبير[3].

فالشيخ الأمين رحمه الله يردّ بهذه القاعدة الجليلة على هذا القول، ويؤكد أن آيات الصفات ليست من المتشابه، وإنما كيفية الصفات من المتشابه الذي لا نعلمه، والذي نكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى[4]. وأما إثبات

(١) انظر قانون التأويل لابن العربي صـ٦٦٦. وقال السيوطي في كتابه «الاتقان» (٢/ ٧) : «من المتشابه : آيات الصفات».

(٢) أساس التقديس للرازي صـ٢٢٣.

(٣) مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ١٨٣ - ١٨٦.

(٤) انظر التحفة المهدية صـ٢٣٤.

الصفة على ما يليق بجلاله فهذا ليس من المتشابه ؛ قال رحمه الله : «اعلموا أن آيات الصفات كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه، وهذا من جهة غلط، ومن جهة قد يسوغ ؛ كما بينه الإمام مالك بن أنس بقوله : «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب»[1]، كذلك يقال في النزول : النزول غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب. واطرده في جميع الصفات ؛ لأن هذه الصفات معروفة عند العرب. إلا أن ما وصف به خالق السموات والأرض أكمل وأجل وأعظم من أن يشبه شيئاً من صفات المخلوقين، كما أن ذات الخالق جلّ وعلا حق، والمخلوقون لهم ذوات، وذات الخالق جل وعلا أكمل وأنزه وأجلّ من أن تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين»[2].

وما قاله الشيخ الأمين رحمه الله حول هذه القاعدة قد قال به كثير من علماء الأمة المعتبرين ؛ من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وتلميذه ابن القيم رحمه الله، وغيرهما. وهذا يدل على أن الشيخ رحمه الله قد سلك منهج سلف هذه الأمة، واقتفى أثرهم، وقال بقولهم، واتبع طريقتهم.

وسأذكر بعض أقوال العلماء المؤيدة لما قاله، فمنها قول العلامة ابن القيم رحمه الله : قد فسر الإمام أحمد الآيات التي احتج بها الجهمية من المتشابه، وقال : «إنهم تأولوها على غير تأويلها»[3] وبيان معناها. وكذلك الصحابة

---

(١) رواه البيهقي عن مالك، وعن ربيعه الرأي في الأسماء والصفات (صـ٥١٦). ووصف الحافظ ابن حجر (في الفتح ١٣/ ٤١٧) سنده بأنه جيد إلى الإمام مالك.

ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص ٣٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (في الفتاوى ٥/ ٣٦٥) بعد أن ذكر قول الإمام مالك : (وهذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً. ولكن ليس في إسناده من يعتمد عليه).

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) انظر الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص١٠٤ - تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة.

والتابعون فسروا القرآن وعلموا المراد بآيات الصفات كما علموا المراد من آيات الأمر والنهي، وإن لم يعلموا الكيفية، كما علموا معاني ما أخبر الله به في الجنة والنار وإن لم يعلموا حقيقة كنهه وكيفيته فمن قال من السلف : إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله بهذا المعنى فهو حقّ. وأما من قال : إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد منه لا يعلمه إلا الله فهو غلط، والصحابة والتابعون وجمهور الأمة على خلافه»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على من قال إن الصفات من المتشابه : «من قال إن هذا من المتشابه، وأنه لا يُفهم معناه، فنقول : أما الدليل على [بطلان] ذلك : فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة، ولا من الأئمة، لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه، أو جعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا : إنّ الله ينزل كلاماً لا يفهم أحد معناه. وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات : «تمر كما جاءت». ونهوا عن تأويلات الجهمية - وردوها وأبطلوها - التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه»[2].

وأما ما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله من أن جواب الإمام مالك يصح في جميع الصفات : فهذا ما قرره أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : «وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات ؛ مثل النزول، والمجيء واليد، والوجه، وغيرها، فيقال في مثل النزول : النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال

(١) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ١٢٥.

(٢) رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل - انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٩٤ - ٢٩٥. وانظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ١/ ١٢٠.

عنه بدعة، هكذا يقال في سائر الصفات ؛ إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة»[1].

وبهذا نرى الشيخ الأمين رحمه الله يقرر هذه القاعدة الجليلة، ويبين أن المتشابه في آيات الصفات ليس كما قرره المتكلمون من أنه في باب المعاني، وإنما معانيها معلومة معروفة من لغة العرب. وإنما المتشابه كما أشار الشيخ رحمه الله يكون في باب الكيفية ؛ لأن معاني الصفات من الأمور المعلومة، أما الكيفية : فيجب الجزم بعدم إدراكها. وهو ما سبق تقريره.

القاعدة الرابعة : ليس ظاهر الصفات التشبيه حتى تحتاج إلى تأويل :

يرد الشيخ الأمين رحمه الله بهذه القاعدة على الأشاعرة الذين يردون أكثر نصوص الصفات ؛ كما قال صاحب الجوهرة[2] :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها[3].

وكذلك رحمه الله يردّ على المعتزلة والجهمية الذين ينفون الصفات خوفاً من التشبيه بصفات المخلوقين كما زعموا[4].

وقد ذكر رحمه الله حجتهم في اعتقادهم أن ظاهر الصفات يدل على المشابهة، فقال رحمه الله : «فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من

---

(١) نقض المنطق صـ٣.

(٢) هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي المالكي اللقاني، ألف جوهرة التوحيد، وتوضيح ألفاظ الأجرومية، وقضاء الوطر من نزهة النظر. توفي سنة (١٠٤١هـ)، انظر : (الأعلام ١/ ٢٨).

(٣) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ١٣٠ .

بل صرح الصاوي أن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر. (انظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين٣/ ١٩).

وقال السنوسي أيضاً : والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل هو أصل ضلالة الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة محلا بظاهر قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، ﴿أأمنتم من في السماء﴾، ﴿لما خلقت بيدي﴾، ونحو ذلك. (انظر شرح أم البراهين صـ٨٢ - نقلاً عن علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين صـ٥٤).

(٤) انظر : الصفات الاختيارية لشيخ الإسلام ابن تيمية (جامع الرسائل١/ ٧).

معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث. وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً؛ لأن اعتقاد ظاهره كفر؛ لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر»[1].

ثم بين رحمه الله اللوازم التي تلزم هذا القول، فقال: «ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول: أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا. والنبي صلى الله عليه وسلم الذي قيل له: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[2] لم يبين حرفا واحداً من ذلك، مع إجماع من يعتدّ به من العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين، فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لايليق، والنبي صلى الله عليه وسلم كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه، وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة، سبحانك هذا بهتان عظيم. ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله جلّ وعلا، ورسوله صلى الله عليه وسلم»[3].

ثم بين رحمه الله القول الحق في ظاهر الصفات أنه كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وأن نصف الله كما وصف نفسه، ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم، وليس من تشابه بين صفات الله وصفات خلقه؛ فقال رحمه الله: «والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فظاهره المتبادر منه

(١) أضواء البيان ٢ / ٣١٩.

(٢) سورة النحل، الآية [٤٤].

(٣) أضواء البيان ٢/ ٣١٩.

السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث. فبمجرد إضافة الصفة إليه جلّ وعلا يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق، وبين شيء من صفات المخلوقين، وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل: هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته، لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابر»[1].

ثم يبيّن رحمه الله السبب الذي جعل هؤلاء المعطلة يقولون إن الظاهر من معاني الصفات التشبيه؛ فيقول: «والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه، وإنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جلّ وعلا، وعدم الإيمان بها، مع أنه جلّ وعلا هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبها أولاً، ومعطلاً ثانياً. فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء، ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظما لله كما ينبغي، طاهراً من أقذار التشبيه، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه: أن وصف الله جلّ وعلا بالغ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق، على نحو قوله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2]»[3].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «إنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا

---

(١) أضواء البيان ٢/ ٣٢٠.

(٢) سورة الشورى، الآية [١١].

(٣) أضواء البيان ٢/ ٣٢٠. وانظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٠.

الاعتقاد الذي يحل جميع الشبه. ويجيب عن جميع الأسئلة ؛ وهو أن الإنسان إذا سمع وصفاً وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين. فيكون القلب منزهاً معظماً له جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه، فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدح بها، وأثنى عليه بها نبيه صلى الله عليه وسلم على غرار (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). والشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة الخائنة»[1].

وهذا الكلام الذي أورده الشيخ رحمه الله في إيضاح القاعدة المذكورة، وفي إيضاح كيفية الرد بها على المخالفين في نقاش علمي رصين ليس ببدع فيه، بل قد سبقه إليه أساطين من علماء الأمة الذين جاهدوا في سبيل توضيح عقيدة الإسلام الصافية النقية مستندين في كل ما قالوه إلى الكتاب والسنة، لذلك كان لهم قصب السبق في توضيح الاعتقاد الصائب، والردّ على كلّ مخالف زائغ. ففي هذا الجانب يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «من قال إن الظاهر غير مراد، بمعنى أن ظاهر صفات المخلوقين غير مراد، قلنا له : أصبت في هذا المعنى، لكن أخطأت في اللفظ وأوهمت البدعة، وجعلت للجهمية طريقاً إلى غرضهم، وكان يمكنك أن تقول: تمرّ كما جاءت على ظاهرها، مع العلم بأن صفات الله ليست كصفات المخلوقين، وأنه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوثه أو نقصه. ومن قال

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٦ - ٣٧، ٣٩ .

إنّ الظاهر غير مراد بالتفسير ؛ وهو مراد الجهمية، ومن تبعهم من المعتزلة والأشعرية وغيرهم : فقد أخطأ»[1].

وقال الشيخ مرعي المقدسي[2] رحمه الله : «ومن المعلوم أنه عليه السلام كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي الجافي، ثم لا يجد -أي الناظر في نصوص الصفات- شيئاً يعقب تلك النصوص مما يصرفها عن حقائقها لانصا ولا ظاهراً كما تأولها بعض هؤلاء المتكلمين. ولم ينقل عنه عليه السلام أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين ونحو ذلك، ولا نقل عنه أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، ولما قال للجارية : «أين الله» ؟ فقالت : في السماء، لم ينكر عليها بحضرة أصحابه كي لا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو عليه، بل أقرها، وقال : «اعتقها فإنها مؤمنة»[3]»[4].

فأين في كل هذا ما ظاهره التشبيه إذا كانت الصفة تابعة للموصوف. فالله يوصف من هذه الصفات بما يليق بجلاله وعظمته، فليست صفته سبحانه مشابهة لصفات خلقه وإن اشتركت معها في اللفظ الوارد ؛ لأن صفة المخلوق تابعة لضعفه وافتقاره، وصفة الخالق على ما يليق بكماله وعظمته وجلاله.

القاعدة الخامسة : الصفات على الحقيقة لا مجاز فيها :

يؤكد الشيخ الأمين رحمه الله أن صفات الله تعالى الواردة في الكتاب

---

(١) الرسالة المدنية ص ٣٦. - تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان.

(٢) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي. مؤرخ أديب من كبار الفقهاء. ولد في طور كرم في فلسطين، ثم انتقل إلى القاهرة، وتوفي بها سنة (١٠٣٣هـ).
(انظر : الأعلام ٧/ ٢٠٣. ومعجم المؤلفين ١٢/ ٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٣٨٢.

(٤) أقاويل الثقات ص ٨٥. وانظر : رسالة في الاستواء والفوقية لأبي محمد الجويني - ضمن رسائل المجموعة المنيرية ١/ ١٧٧.

والسنة هي على الحقيقة كما يليق بجلاله، وليس كما يدعي المؤولة أنها مجاز، فيقولون: الاستواء: معناه الاستيلاء، واليد: القدرة، وهكذا، يحرفون الصفات، ويعطلون الله عن صفاته العظيمة.

قال الشيخ رحمه الله: «إن جميع ما وصف الله به نفسه في هذا القرآن من الصفات؛ كالاستواء، واليد، والوجه، ونحو ذلك من جميع الصفات فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً[1]، مع تنزيهه جلّ وعلا عن مشابهة صفات الحوادث سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيراً. وذلك البيان العظيم لجميع الصفات في قوله جلّ وعلا: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2]، فنفى عنه مماثلة الحوادث بقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾، وأثبت له الصفات على الحقيقة بقوله: ﴿وهو السميع البصير﴾...»[3].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «فإثبات الحقيقة ونفي المجاز في صفات الله هو اعتقاد كل مسلم طاهر القلب من أقذار التشبيه؛ لأنه لا يسبق إلى ذهنه من اللفظ الدالّ على الصفة؛ كصفة اليد والوجه، إلا أنها صفة كمال منزهة عن مشابهة صفات الخلق. فلا يخطر في ذهنه التشبيه الذي هو سبب نفي الصفة وتأويلها بمعنى لا أصل له»[4].

وما أشار إليه الشيخ رحمه الله أمر مجمع عليه عند السلف وقاعدة تُجرى على كل الصفات.

وسأذكر كلام بعض العلماء الذين سبقوا الشيخ الأمين رحمه الله في

---

(١) للشيخ الأمين رحمه الله رسالة مفردة في نفي المجاز، سماها «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز» أثبت فيها أن القرآن كله حقائق لا مجاز فيه، وأنّ القول بالمجاز ذريعة لنفي ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال بادعاء أنها مجاز وأنّ المجاز يجوز نفيه، وهذا من أعظم وسائل التعطيل.
(انظر مقدمة هذه الرسالة صـ٣ - ٤. وهي ملحقة بأضواء البيان، الجزء العاشر).

(٢) سورة الشورى، الآية [١١].

(٣) أضواء البيان ١/ ٨٢. وانظر: المعين والزاد ص ٤١ - ٤٥.

(٤) أضواء البيان ٧/ ٤٦٣.

تقرير هذه القاعدة ؛ فمنهم : الحافظ ابن عبد البر الذي قال : «وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك. ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع، والجهمية[1]، والمعتزلة[2]، والخوارج[3]، فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة»[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «ومن المعلوم باتفاق المسلمين أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته»[5].

فما قرره الشيخ الأمين رحمه الله بأن الحق في الصفات إثباتها على الحقيقة اللائقة بجلال الله سبحانه وتعالى، وأنها ليست مجازاً، فلا تؤول

(١) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الراسبي مولاهم، أبو محرز السمرقندي، رأس الجهمية. قتله سلم بن أحوز نائب أصبهان سنة ثمان وعشرين ومائة، كان يقول بأن العباد مجبورون على أفعالهم، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن القرآن مخلوق. وكان ينكر صفات الله عز وجل وأسمائه. ويقول: إن الله في الأمكنة كلها. تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيراً.

(انظر : الفرق بين الفرق صـ٢١١. والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان صـ٣٤. وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٦. والبداية والنهاية ٩/ ٣٦٤. والخطط للمقريزي٢/ ٣٤٩).

(٢) سبق التعريف بهم ص ٢٤٢.

(٣) الخوارج : سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي رضي الله عنه. وهم فرق كثيرة. قال أبو الحسن الأشعري : أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجدات : فإنها لا تقول بذلك. وأجمعوا على أن الله يعذب أصحاب الكبائر عذاباً أليماً، إلا النجدات.

(انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ١٦٧. والملل والنحل١/ ١١٤. والخطط للمقريزي ٢/ ٣٥٠، ٣٥٤. والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان صـ١٧).

(٤) التمهيد ٧/ ١٤٥.

(٥) الفتاوى ٣/ ٢١٨. وانظر كلامه رحمه الله في رده على من قال إن صفات الله مجاز. (كتاب الإيمان صـ١٠٦ - طبعة المكتب الإسلامي-).

ولا تفوض: هو الذي تعضده نصوص الشرع وأقوال السلف رضوان الله عليهم.

وهكذا نرى شدة عناية الشيخ الأمين رحمه الله بعقيدة السلف، وتقعيده القواعد لإيضاحها. وكذا شدة اهتمامه بتسهيلها، وشدة حرصه على تفهيمها للناس؛ حيث أرشد طالب العلم إلى الأخذ بهذه الأصول السهلة الميسرة التي تأخذ بيد طالب الحق، وتوصله إلى مبتغاه؛ إلى عقيدة الإثبات مع التنزيه. فلا يغلو في الإثبات حتى يشبه الله بخلقه، ولا يغلو في التنزيه حتى يعطل الله جل وعلا عن صفاته، بل يثبتها إثباتاً يليق بجلال الله وعظمته وكماله، منزها لها عن مشابهة صفات الحوادث، متبعاً لقول مولاه جلّ وعلا: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.[1]

(١) سورة الشورى، الآية [١١].

المطلب الرابع

ذكر جملة من الصفات التي ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله

فيما يلي أورد كلام الشيخ الأمين رحمه الله مفصلا عن بعض الصفات التي كثر الكلام حولها بين السلف ومخالفيهم، وذلك كي أبيّن مدى التطابق بين ما سبق أن نقلته عنه من منهج وقواعد قعدها، واستند إليها في الإثبات والردّ على الخصوم، وبين ما سأورده من كلامه التفصيلي حول بعض الصفات.

وسنلاحظ عند الكلام عن الصفات تفصيلاً أنّ الشيخ الأمين رحمه الله قد اهتمّ بذكر رأيه في الصفات في ضوء الدليل، ووفق المنهج المرسوم. وسنلاحظ أيضاً أنه لا يطيل في الحديث عنها؛ لأنه اكتفى ببيان المنهج، ووضع القواعد العامة التي تشترك فيها سائر الصفات.

ومن الصفات التي فصّل الشيخ الأمين رحمه الله فيها الكلام: صفة الاستواء، وصفة الكلام، وصفة اليدين، وصفة المعية، وصفة العلم، وصفة العلو، وصفة العظمة، وصفة الكبرياء، وصفة القدرة، وصفة السمع، وصفة البصر، وصفة الحياة، وصفة القيومية، وصفة الوجه، وصفة العين، وصفة القدم، وصفة الغضب، وصفة الرحمة، وصفة المجيء.

[١] صفة الاستواء:

الاستواء على العرش[١] من صفات الله الفعلية الثابتة على ما يليق

(١) قال الشيخ الأمين رحمه الله في العرش: (والعرش سرير الملك، ويطلق على السقف، والمراد به هنا عرش الرحمن الذي ذكره الله عزّ وجلّ في سبعة مواضع من كتابه، واصفا نفسه باستوائه عليه جلّ وعلا). (معارج الصعود ص٤٩).

بجلاله وكماله، فلا يُتطرق إلى تشبيه معناها، بل تثبت من غير كيف، وفق منهج السلف الذين يثبتون الصفات من غير تكييف- كما مرّ آنفا- .

وهذه الصفة العظيمة أطال المتكلمون حولها النقاش، وحشدوا لردها كلّ ما استطاعوا من جدل وسفسطة، وكلها تضمحلّ أمام سبع آيات من القرآن الكريم أثنى الله بها على نفسه واصفا لها بالاستواء على العرش، وجعلها من صفات الكمال التي يمتدح بها جلّ وعلا .

وقد قرر الشيخ الأمين رحمه الله هذه الصفة بأسلوب سهل، وبدون تعقيد مستشهداً على ذلك بالنقل من آيات القرآن الكريم مؤكداً أنّ هذه الصفة من صفات الجلال والكمال، وهي ثابتة لله على ما يليق بجلاله، فقال رحمه الله : «اعلموا أنّ هذه الصفة التي هي صفة الاستواء صفة كمال وجلال، تمدح بها ربّ السموات والأرض. والقرينة على أنها صفة كمال وجلال أنّ الله ما ذكرها في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهر العقول من صفات جلاله وكماله»[1] .

ثمّ استدلّ رحمه الله على هذه الصفة العظيمة بكلام الله سبحانه وتعالى، الذي امتدح نفسه بها في سبعة مواضع من القرآن الكريم .

والشيخ رحمه الله حين يورد هذه الآيات الكريمات يؤكد أنه لا مجال معها لتأويل متأول، أو تحريف محرف، وأنّ الحقّ مع من أثبتها لله كما يليق بجلاله؛ وهم أهل السنة والجماعة .

وقد أورد رحمه الله هذه الآيات السبع التي ذكر الله فيها استواءه على عرشه حسب ترتيبها في القرآن الكريم، مبتدأ بقوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿إنّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٢٨ . وانظر : رحلة الحج ص٨١ .

والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين﴾[1]

ثمّ عقب رحمه الله على إيراده الآية بقوله: (فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال)[2]

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع الثاني الذي ذكر فيه الاستواء؛ وهو قوله تعالى في سورة يونس: ﴿إنّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون* إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾[3]، وعقّب على هذه الآيات الكريمات بقوله: (فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على هذا الكمال والجلال)[4].

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع الثالث من سورة الرعد، وهو قوله تعالى: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون* وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون* وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[5]. ثمّ قال رحمه الله بعد ذكر هذه الآيات الكريمات «فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على

---

(١) سورة الأعراف، الآية [٥٤].

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٢٨.

(٣) سورة يونس، الآيتان [٣ - ٤].

(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٢٩.

(٥) سورة الرعد، الآيتان [٢ - ٤].

ا لجلال والكمال»[1].

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع الرابع من سورة طه، من قوله تعالى: ﴿طه* ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى* إلا تذكرة لمن يخشى* تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى* الرحمن على العرش استوى* له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى* وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى* الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾[2]، ثمّ قال رحمه الله: «فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال»[3].

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع الخامس، من سورة الفرقان، وهو قوله تعالى: ﴿وتوكل على الحيّ الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً* الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾[4]، وقال بعد ذلك: «فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على هذا الكمال والجلال»[5].

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع السادس، وهو من سورة السجدة، وهو قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق ا لسموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع أفلا تتذكرون* يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾[6]، ثمّ قال بعد أن أورده: «فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على الغاية من الجلال والكمال»[7].

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٣٠.

(٢) سورة طه، الآيات [١-٨].

(٣) منهج ودراسات ص٣١.

(٤) سورة الفرقان، الآيتان [٥٨-٥٩].

(٥) منهج ودراسات ص٣١.

(٦) سورة السجدة، الآيتان [٤-٥].

(٧) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٣١.

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع السابع من المواضع التي ذكرت فيها هذه الصفة العظيمة؛ وهو قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم* هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعلمون بصير﴾»[1][2].

وبعد أن أورد الشيخ رحمه الله هذ الآيات الكريمات الدالة على ثبوت اتصاف الله سبحانه وتعالى بهذه الصفة العظيمة، نوه بأنّ بعض المتكلمين تجرأ على هذه الصفة الكريمة التي وصف الله تعالى بها نفسه فحرفها عن موضعها، وانتحل لها من تلقاء نفسه معاني عطلتها عن معناها الحقيقي المتضمن للكمال المطلق، زاعماً أنّ إثباتها على ظاهرها يجعلها صفة نقص لا يجوز اتصاف الربّ بها، لذلك تؤول بمعنى آخر غير المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله مبيّنا حال هؤلاء القوم: «فالشاهد أنّ هذه الصفات التي يظنّ الجاهلون أنها صفة نقص، ويتهجمون على ربّ السموات والأرض بأنه وصف نفسه بصفة نقص، ثمّ يسببون عن هذا أن ينفوها ويؤولوها، مع أنّ الله جلّ وعلا تمدح بها، وجعلها من صفات الجلال والكمال، مقرونة بما يبهر من صفات الجلال والكمال. وهذا يدلّ على جهل وهوس من ينفي بعض صفات الله جلّ وعلا بالتأويل»[3].

ولإبعاد الشبهة التي استقرت في عقول المؤولة؛ وهي أنّ صفة الاستواء تشابه صفة المخلوق، لذلك تحرف إلى استولى، أو غيرها أكد رحمه الله أنّ

---

(١) سورة الحديد، الآيتان [٣-٤].

(٢) منهج ودراسات ص٣٢. وانظر: أضواء البيان ٢/ ١٦-١٨. وآداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٢.

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٣٢.

السلف لا يقصدون بإثباتهم صفة الاستواء لله أنها تشابه صفة استواء المخلوق، فكما أنّ لله الخالق ذاتاً لا تشابه الذوات، كذلك له صفات لا تشبه الصفات.

ولذلك ذكر رحمه الله أنّ اتصاف المخلوق بالاستواء هو على ما يليق به، كما أنّ استواء الخالق جلّ وعلا على ما يليق به. وأنّ الصفة وإن اشتركت في المعنى، إلا أنّ كل صفة تتبع موصوفها. فالله تعالى يقول عن استواء الإنسان: ﴿لتستووا على ظهوره، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾الآية[2]، ويقول عن استواء السفينة: ﴿واستوت على الجودي﴾ الآية[3].

ثمّ قال رحمه الله بعد ما ذكر هذه الآيات الكريمات: «وإنّ للخالق جلّ وعلا استواء لائقا بكماله وجلاله، وللمخلوق أيضاً استواء مناسب لحاله، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق، على نحو ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[4]﴾»[5].

وبذلك يقطع الشيخ رحمه الله الطريق على الجاهلين الذين شبهوا الله بخلقه، ثمّ عطلوه عن صفة الكمال التي أثبتها لنفسه فهو رحمه الله يؤكد أنّ صفة الاستواء التي اتصف بها الله سبحانه وتعالى ليست كما تصور لكم عقولكم، بل هو استواء لا نعلم كيفيته، كما أننا لا نعرف كيفية الذات، فلله سبحانه من هذه الصفة ما يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه أو

(١) سورة الزخرف، الآية [١٣].
(٢) سورة المؤمنون، الآية [٢٨].
(٣) سورة هود، الآية [٤٤].
(٤) سورة الشورى، الآية [١١].
(٥) أضواء البيان ٢/ ٣١٨.

تكييف. وهذا هو المذهب الحقّ الذي تدلّ عليه نصوص الوحي المثبتة للصفات؛ لأنّ المنهج والطريقة في ذلك واضحة لم يدعنا الله تعالى فيها لعقولنا حين قال: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1]؛ فالصفات ثابتة، وأما الكيفية فمنفية؛ إذ كيف نعرف كيفية صفته سبحانه، ونحن لم نعلم كيفية ذاته. تعالى الله عما قاله المبطلون علواً كبيراً.

فالشيخ رحمه الله ينطلق في كلامه من الكتاب والسنة، ومن مفهوم السلف الصالح؛ الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

سئل الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء، فقال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[2].

وقال الأوزاعي رحمه الله: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إنّ الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته جلّ وعلا)[3].

وقال الشيخ أبو نصر السجزي[4]: (وأئمتنا؛ كسفيان الثوري[5]، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة[6]، وحماد بن سلمة[7]، وحماد بن

---

(١) سورة الشورى، الآية [١١].

(٢) تقدم تخريجه ص٣٠١.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي ص٥١٥.

(٤) هو الإمام الحافظ شيخ السنة أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجستاني. توفي سنة (٤٤٤ هـ).
(انظر: سير أعلام النبلاء١٧/ ٦٥٤. وشذرات الذهب ٣/ ٢٧١.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) هو الإمام سفيان بن عيينة بن ميمون، مولى محمد بن مزاحم الهلالي الكوفي، ثم المكي. حافظ العصر، وأحد أئمة الحديث. ولد سنة (١٠٧)، وتوفي سنة (١٩٨هـ).
(انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤. وشذرات الذهب ١/ ٣٥٤).

(٧) هو الإمام حماد بن سلمة بن دينار البصري، من كبار المحدثين، توفي سنة (١٦٧هـ) (انظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٤٤. وشذارت الذهب ١/ ٢٦٢).

زيد[1]، وعبدالله بن المبارك[2]، والفضيل بن عياض[3]، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه[4]؛ متفقون على أنّ الله سبحانه بذاته فوق العرش، وعلمه بكلّ مكان، وأنه ينزل من السماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء»[5]

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه؛ فهم يؤمنون بها على مراد الله من غير تكييف لمعناها، ولا مشابهة لها بصفة المخلوقين.

والشيخ رحمه الله متبع لطريقة السلف المستندة إلى نصوص الوحي، فهو من دعاة الاتباع، ومن أشدّ أعداء الابتداع.

موقف المتكلمين من صفة الاستواء، وردّ الشيخ الأمين رحمه الله عليهم:

وفي معرض إيضاح الشيخ الأمين رحمه الله لهذه الصفة بيّن رأي المتكلمين فيها، وذكر أنهم أكثروا من الخوض فيها حتى نفوها بأدلة جدلية كلامية عقيمة استدلوا بها لإبطال الحقّ وإحقاق الباطل حتى تجرأ كثير من الناس ممن يدعي الإسلام على تعطيل هذه الصفة عن ربّ السموات والأرض بهذه الأدلة الواهية التي يعارضون بها كلام الله سبحانه

(١) هو الإمام حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل البصري. أحد أئمة الحديث. ولد سنة (٩٨)، وكان ضريراً. وتوفي سنة (١٧٩ هـ).
(انظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٥٦, ٤٦٦. والبداية والنهاية ١٠/ ١٨٠).

(٢) هو الإمام عبدالله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي المروزي. أحد أئمة الحديث. قال عنه ابن معين: ذاك أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة (١١٨هـ). وتوفي سنة (١٨١هـ).
(انظر سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٨. والبداية والنهاية ١٠/ ١٨٣).

(٣) هو الإمام الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني. أحد الأئمة العباد والزهاد. توفي سنة (١٨٧هـ).
(انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١. والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠٦. وشذرات الذهب ١/ ٣١٦).

(٤) تقدمت ترجمته ص٢٩٤.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥٦.

وتعالى[1]، ولهم تأويلات مختلفة في نفي تلك الصفة عن الله، ولكنّ مؤدى الكل واحد من حيث تعطيل الله جلّ وعلا عن الاتصاف بهذه الصفة العظيمة، وتحريفها عن الاستواء إلى الاستيلاء[2].

وقد ناقشهم الشيخ الأمين رحمه الله مناقشة علمية رصينة أظهر من خلالها كثيراً من التحريفات التي وقعوا فيها، واستوعب مزاعمهم وأدلتهم التي جمعوها، وبيّن أنهم بهذه المزاعم يريدون التوصل إلى نفي الاستواء عن الله سبحانه وتعالى.

ومن هذه المزاعم التي ذكروها: قالوا: إنّ قوله: على العرش استوى مجاز؛ فنفوا الاستواء؛ لأنه مجاز، وقالوا: معنى استوى: استولى. وشبهوا استيلاءه باستيلاء بشر بن مروان على العراق. وقالوا أيضاً: إنّ الاستواء يوهم غير اللائق بالله لاستلزامه مشابهة استواء الخلق، فجاؤوا بالاستيلاء لأنه هو اللائق به بزعمهم[3].

ونبّه رحمه الله إلى مشابهة المؤولة لليهود الذين بدلوا كلام الله وحرفوه، فغضب الله عليهم ولعنهم، وذكر أنّ المؤولة سلكوا الطريق نفسه الذين سلكه اليهود؛ فقال رحمه الله مبينا هذا المعنى: (ولو تدبروا كتاب الله لمنعهم ذلك من تبديل الاستواء بالاستيلاء، وتبديل اليد بالقدرة، أو النعمة؛ لأنّ الله جلّ وعلا يقول في محكم كتابه في سورة البقرة: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾[4]، ويقول في الأعراف: ﴿فبدل الذين ظلموا

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٢٧، ٢٨.

(٢) انظر: الإرشاد ص٤٠، ٤١. وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي ص٢٢٦، ٢٢٧. وانظر أيضاً: مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٧٩، ٣٨٠.

(٣) انظر: أضواء البيان ٧/ ٤٥٢. وانظر أيضاً: المصدر نفسه ٧/ ٤٥٤. وآداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٥. ورحلة الحج ص٨٤.

(٤) سورة البقرة، الآية [٥٩].

منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون﴾[1] فالقول الذي قاله الله لهم، هو قوله: "حطة"؛ وهي فعلة من الحطّ بمعنى الوضع: خبر مبتدأ محذوف؛ أي دعاؤنا ومسألتنا لك حطة لذنوبنا؛ أي حطّ وضعها عنا، فهي بمعنى طلب المغفرة. وفي بعض روايات الحديث[2] في شأنهم أنهم بدلوا هذا القول بأن زادوا نوناً فقط؛ فقالوا: حنطة؛ وهي القمح. وأهل التأويل قيل لهم على العرش استوى، فزادوا لاما فقالوا استولى. وهذه "اللام" التي زادوها أشبه شيء بالنون التي زادها اليهود في قوله تعالى: ﴿وقولوا حطة﴾[3]، وبقول الله جلّ وعلا في منع تبديل القرآن بغيره: ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[4]. ولا شك أنّ من بدل استوى باستولى مثلا لم يتبع ما أوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فعليه أن يجتنب التبديل، ويخاف العذاب العظيم الذي خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عصى الله فبدل قرآنا بغيره، المذكور في قوله: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾. واليهود لم ينكروا أنّ اللفظ الذي قاله الله لهم هو لفظ حطة، ولكنهم حرفوه بالزيادة المذكورة. وأهل هذه المقالة لم ينكروا أنّ كلمة القرآن هي استوى، ولكن حرفوها وقالوا في معناها: استولى. وإنما أبدلوها بها لأنها أصلح في زعمهم من لفظ كلمة القرآن التي توهم غير اللائق، وكلمة استولى في زعمهم هي المنزهة اللائقة بالله، مع أنه لا يعقل تشبيه أشنع من تشبيه استيلاء الله على عرشه المزعوم باستيلاء بشر على

---

(١) سورة الأعراف، الآية [١٦٢].

(٢) انظر مسلم ٤/ ٢٣١٢ وفيه: أنهم قالوا: حبة في شَعَرَة بدل حطة. وفي مسند الإمام أحمد (وقولوا حطة. قال بدّلوا فقالوا: «حنطة في شعرة» بدل حطة انظر الفتح الرباني ١٨/ ٧٣.

(٣) سورة البقرة، الآية [٥٨].

(٤) سورة يونس، الآية [١٥].

العراق)[1].

وبهذه الالزامات التي ساقها الشيخ الأمين رحمه الله برهن على صحة حكمه في المؤولة بأنهم سلكوا مسلك اليهود في تحريف كلام الله تعالى، ومعارضته. فليس كلامه رحمه الله مجرد دعوى يلقيها على عواهنها، بل ضمّن ذلك أمثلة من القرآن الكريم ليتضح وجه الشبه بين اليهود والمؤولة.

ثمّ يناقش الشيخ رحمه الله هؤلاء المؤولة في صميم تأويلهم، فيطرح عليهم عدة أسئلة ينسف من خلالها تأويلهم الباطل؛ إذ هذه الأسئلة لا تحتمل إلا إجابة واحدة لا يستطيع المؤولة أن يقولوا بها. وهذه الأسئلة التي يطرحها الشيخ رحمه الله هي من لوازم قولهم الشنيع في تأويل صفة استواء الربّ سبحانه تعالى؛ فيقول رحمه الله: (هل كان أحد يغالب الله على عرشه حتى غلبه على العرش واستولى عليه؟ وهل يوجد شيء إلا والله مستول عليه، فالله مستول على كل شيء. وهل يجوز أن يقال إنه تعالى استولى على كلّ شيء غير العرش؟ فافهم)[2].

وهكذا يُظهر الشيخ رحمه الله شناعة هذا القول، وما يلزم عليه من لوازم كفرية إن اعتقدها المؤول، كلّ ذلك بأسلوب مقنع يُظهر فظاعة قول المؤولة الذين قالوا على الله بغير علم.

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٥٢-٤٥٤.

ولله درّ العلامة ابن القيم رحمه الله حيث يقول:

أمر اليهود بأن يقولوا حطة ... فأبوا، وقالوا حنطة لهوان

وكذلك الجهمي قيل له استوى ... فأبى وزاد الحرف للنقصان

قال استوى استولى وذا من ... جهله لغة وعقلا ماهما سيان

نون اليهود ولام جهميّ هما ... في وحي ربّ العرش زائدتان

(انظر: المقاصد وتصحيح القواعد لأحمد بن عيسى ص٢٦).

(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٥٤.

وأخيراً يجهز الشيخ الأمين رحمه الله على تأويلهم ناسفاً له من أساسه، فبين لهم أنّ المحذور الذي فروا منه؛ وهو خوفهم من تشبيه استواء الخالق بالمخلوق، قد وقعوا فيه حين أولوا استوى باستولى. فيسألهم مستفسراً منهم هل تقصدون باستيلاء الله على عرشه استيلاء مشابهاً لاستيلاء بشر بن مروان على العراق، أم تريدون استيلاء خاصاً كما يليق بجلال الله وعظمته. وبلا شك فهم سيجيبون بالجواب الأخير؛ إذ هم قد أولوا الاستواء بالاستيلاء فراراً من التشبيه. وبهذه الطريقة ليس أمامهم من منفذ يخرجون منه إلا أن يذعنوا للحقّ، ويقولوا بقول أهل السنة والجماعة دون تلاعب بالألفاظ: إنّ الله مستو على العرش استواء يليق بجلاله سبحانه؛ إذ لفظ "استوى" هو اللفظ الذي أثنى الله به على نفسه، وتعبدنا بتلاوته، فهو أحقّ بأن يوصف الله تعالى به.

وفي ذلك يقول رحمه الله: (تشبيه استيلاء الله على عرشه باستيلاء بشر بن مروان على العراق هو أفظع أنواع التشبيه، وليس بلائق قطعا. إلا أنه يقول: إنّ الاستيلاء المزعوم منزه عن مشابهة استيلاء الخلق، مع أنه ضرب له المثل باستيلاء بشر على العراق، والله يقول: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[1]، ونحن نقول: أيها المؤول هذا التأويل: نحن نسألك إذا علمت أنه لابدّ من تنزيه أحد اللفظين؛ أعني لفظ "استوى" الذي أنزل الله به الملك على النبيّ صلى الله عليه وسلم قرآنا يتلى، كلّ حرف منه عشر حسنات، ومن أنكر أنه من كتاب الله كفر. ولفظة "استولى" التي جاء بها قوم من تلقاء أنفسهم من غير استناد إلى نص من كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا قول أحد من السلف. فأيّ الكلمتين أحقّ بالتنزيه في رأيك؟ أألالحق بالتنزيه كلمة القرآن المنزلة من الله على رسوله، أم كلمتكم التي جئتم بها من تلقاء أنفسكم من غير مستند

(١) سورة النحل، الآية [٧٤].

أصلاً؟ ونحن لا يخفى علينا الجواب الصحيح عن هذا السؤال إن كنت لا تعرفه)[1].

وهذه الطريقة المقنعة التي سلكها الشيخ رحمه الله تستعمل في كلّ تأويل فروا إليه خشية المشابهة؛ فإذا لم يقولوا فيه كما يليق بجلاله لزمتهم مشابهة الخالق بالمخلوق، ووقعوا فيما فروا منه. وحينئذ نقول لهم: نحن نثبت الصفات لله، ونقول: كما يليق بجلاله، وهذه صفات أثنى الله بها على نفسه، وتعبدنا بتلاوتها كما أوضح ذلك كله الشيخ الأمين رحمه الله تعالى.

وقد سبق الشيخ الأمينَ إلى سلوك هذه الطريقة شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في رده على المؤولة[2]. وهذا من الأدلة الجلية على اقتداء الشيخ الأمين رحمه الله بسلفه الصالح من العلماء الأجلاء الذين ردوا على من انحرف عن الطريق المستقيم، وجادلوا من عاند منهم، وقارعوا حججهم الواهية الباطلة بحجج في غاية القوة والوضوح والإقناع.

ولم يكتف الشيخ الأمين رحمه الله بإيراد تلك الحجة الظاهرة الساطعة البيان رادا بها هذا التأويل، بل نجده رحمه الله يفرد مبحثا مستقلا لمناقشة المتكلمين في ردهم صفة الاستواء، يقيم فيه عليهم الحجة بمقتضى قواعدهم التي قعدوها لنفي معاني الصفات التي لا توافق أهواءهم؛ فهم يقولون: لو كان الله مستويا على العرش، لكان مشابها للخلق، لكنه غير مشابه للخلق، فهو غير مستو على العرش. وبهذه الطريقة القياسية نفوا صفة الاستواء الثابتة في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى.

يقول رحمه الله موضحاً ذلك: (نحبّ أن نذكر كلمة قصيرة لجماعة قرؤوا في المنطق والكلام، وظنوا نفي بعض الصفات من أدلة كلامية؛ كالذي

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٥٤-٤٥٥. وانظر: منهج ودراسات ص٥٠.

(٢) راجع العقيدة التدمرية ص٤٥-٤٦.

يقول مثلاً: لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث، لكنه غير مشابه للحوادث، ينتج: فهو غير مستو على العرش. هذه النتيجة الباطلة تضادّ سبع آيات من المحكم المنزل، ولكننا الآن نقول في مثل هذا[1] على طريق المناظرة والجدل المعروف عند المتكلمين؛ نقول: هذا قياس استثنائي مركب من شرطية متصلة لزومية، استثنائية؛ استثنى فيه نقيض التالي، فأنتج نقيض المقدم، حسب ما يراه مقيم هذا الدليل. ونحن نقول: إنه تقرر عند عامة النظار أنّ القياس الاستثنائي المركب من شرطية متصلة لزومية يتوجه عليه القدح من ثلاث جهات:

١- يتوجه عليه القدح من جهة استثنائية.

٢- ويتوجه عليه من جهة شرطية إذا كان الربط بين المقدم والتالي ليس بصحيح.

٣- ويتوجه عليه من جهة شرطيته إذا كان الربط بين المقدم وهذه القضية كاذبة الشرطية. فالربط بين مقدمها وتاليها كاذب كذباً بحتاً، ولذا جاءت نتيجتها مخالفة لسبع آيات.

إيضاحه: أن نقول: قولكم لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث. هذا الربط بين لو واللام كاذب كاذب، بل هو مستو على عرشه كما قال من غير مشابهة للحوادث، كما أنّ سائر صفاته واقعة كما قال من غير مشابهة للخلق. ولا يلزم من استوائه على عرشه كما قال أن يشبه شيئاً من المخلوقين في صفاتهم البتة، بل استواؤه صفة من صفاته، وجميع صفاته منزهة عن مشابهة الخلق، كما أنّ ذاته منزهة عن مشابهة ذوات الخلق. ويطّرد في الكل)[2].

(١) يريد القدح في القياس الاستثنائي الذي أوردوه.

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٤١-٤٢. وانظر: آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٢٢-١٢٦. ومنع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز- الملحق بأضواء البيان ١٠/ ٥٧-٦٢.

وهكذا يردّ عليهم الشيخ الأمين رحمه الله بمنطقهم، مبيّنا أنّ هذه القاعدة الجدلية، والدليل الجدلي الذي اتخذوه ذريعة لنفي الاستواء: كاذب من أساسه، فلا شك أنّ النتيجة التي رتبوها على هذا الدليل الكاذب ستكون كاذبة أيضاً، وبذلك يتضح أنّ صفة الاستواء ثابتة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته بأدلة النقل؛ من كتاب وسنة. ولا شك أن العقل السليم الذي لم تدخله الآراء الفاسدة والشبهات لا يعارض الدليل الصحيح، بل يسلم له؛ فالعقل السليم يوافق الدليل الصحيح.

بقي أن أنبه إلى أنّ الشيخ الأمين رحمه الله رغم معرفته للجدل والمنطق، ومعرفته لقواعده وجزئياته- كما تبيّن لنا من هذا الردّ- إلا أنه لم يجعله أساساً لإثبات الصفات، بل لم يستخدمه في مبحث التوحيد إلا للرد على من يعتقده ويأخذ به، وذلك لإقامة الحجة عليهم، وإبطال حججهم بمنطقهم الذي يفهمونه.

(٢) صفة الكلام :

الكلام من صفات الله الثابتة على ما يليق بجلاله سبحانه . وهو صفة ذاتية باعتبار نوع الكلام، وصفة فعل لتعلقه بمشيئة الله باعتبار أفراد الكلام[١] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : يا آدم . فيقول : لبيك ربنا وسعديك . فينادي بصوت : إنّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار "[٢] .

فهو سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء . وهو متكلم بصوت يسمع[٣] ؛ يُسمعه من شاء من خلقه ؛ سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة، وسمعه من أذن له من ملائكته ورسله . وهو سبحانه وتعالى يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه .

هذا معتقد سلف الأمة في صفة كلام الله سبحانه وتعالى . وهو ما قرره الشيخ الأمين رحمه الله، وبيّنه خير بيان ؛ فقد قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾[٤] (هذه الآية الكريمة من سورة براءة نص صريح في أنّ هذا الذي نقرؤه ونتلوه هو بعينه كلام الله ؛ فالصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري ؛ لأنّ الله صرح أنّ هذا المشرك المستجير يسمع كلام الله يتلوه عليه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر : الفتاوى لشيخ الإسلام ٦/ ٢١٩ . وانظر أيضاً : الصفات الإلهية للدكتور محمد أمان ص٢٦٢ .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٥/ ٢٤١ . ومسلم في الصحيح ١/ ٢٠١ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٨٠ .

(٤) سورة التوبة، الآية [٦]

هذا المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسنة، المكتوب بالمصاحف هو كلام الله جلّ وعلا بمعانيه وألفاظه. ولا شك أنّ أصل الكلام صفة لله جلّ وعلا ونحن لا نحب إكثار الخوض فيه.. ولكن نقول: إنّ الكلام صفة الله التي لم يزل متصفاً بها، ولم يتجرد يوما عن كونه متكلماً. فالكلام صفته المتصف بها أزلا، لم يتجرد يوماً عن كونه متكلماً، وهو في كلّ وقت يتكلم بما شاء كيف شاء على الوجه اللائق بكماله وجلاله؛ فكلامه صفة ليس بمخلوق)[1].

وهذا النصّ من كلام الشيخ رحمه الله واضح الدلالة على أنّ عقيدته في كلام الله هي عقيدة السلف؛ أنّ الله يتكلم حقيقة متى يشاء، وكيف يشاء، وأننا لا نعلم كيفية كلامه سبحانه وتعالى، والقرآن الكريم كلام الله غير مخلوق، وفي ذلك ردّ على الجهمية والمعتزلة، وهو ما سوف أوضحه فيما بعد إن شاء الله.

ومن الأدلة على أنّ عقيدة الشيخ الأمين رحمه الله في صفة الكلام هي عقيدة السلف عينها، أنّ ما قاله أئمة السلف عن صفة الكلام مطابق تمام المطابقة لما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله:

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إنّ الله لم يزل متكلما إذا شاء، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار. والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم به بمشيئته وقدرته، وليس ببائن عنه مخلوقاً، ولا يقولون إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً، ولا أنّ كلام الله تعالى من

(١) الشريط الأول من تفسير سورة التوبة، الوجه الأول، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾. وانظر: مذكرة أصول الفقه للشيخ الأمين ص٥٤، ١٨٩. وأضواء البيان ٢/ ٣٠٩. ومنهج ودراسات ص١٦. ورحلة الحج ص٧٦.

حيث هو: هو حادث، بل مازال متكلماً إذا شاء، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته، فكلامه لا ينفد)[1].

وقال في موضع آخر مبينا القول الحق في القرآن «فالقرآن الذي نقرؤه هو كلام الله مبلغاً عنه لا مسموعاً منه، وإنما نقرؤه بحركاتنا وأصواتنا، الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة مع العقل»[2].

وقال تقيّ الدين عبد الغني المقدسي[3]: «مذهب أهل الحقّ أنّ الله عزّ وجلّ لم يزل متكلماً بكلام مسموع مفهوم مكتوب»[4].

وقال ابن أبي العز الحنفي[5]: «والحقّ أنّ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى؛ فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك... كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف»[6]

وقال العلامة عبد الباقي المواهبي[7]: «فلم يزل الله متكلما كيف يشاء، إذا شاء بلا كيف، يأمر بما شاء ويحكم»[8].

---

(١) الفتاوى ١٢/ ١٧٣.

(٢) الفتاوى ١٢/ ٩٨. وانظر المصدر نفسه ١٢/ ٢٤٤.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) انظر عقيدة المقدسي ص٦١.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢.

(٧) هو عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي. ولد سنة (١٠٠٥هـ) في بعلبك، وتوفي سنة (١٠٧١هـ) في دمشق. (انظر: الأعلام ٣/ ٢٧٢).

(٨) العين والأثر ص٦٥.

فهذا هو مذهب السلف الحقّ في إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى.
وهو ما سار عليه الشيخ الأمين رحمه الله في إثبات هذه الصفة وإيضاحها، وتقرير المعتقد الصحيح فيها مستنداً إلى أدلة الوحي.

صفة المتكلمين من صفة الكلام
وردّ الشيخ الأمين رحمه الله عليهم

أكثر المتكلمون من أشاعرة ومعتزلة وجهمية وغيرهم من الخوض في صفة الكلام، حتى قيل إنما سمي علم الكلام بهذا الاسم أخذاً من كثرة ما قيل فيها. ونظراً لما عرف عن القوم من حبّ في الإطالة والسفسطة والأخذ بالجدل العقيم الذي لا يسعفه عقل ولا نقل من أجل تقرير الباطل؛ فقد تشعبت فيها الأقوال، حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنها سبعة أقوال، أو تزيد[1]، وذكر العلامة أبو العز الحنفي شارح الطحاوية تسعة أقوال في صفة الكلام[2].

ولكن سوف أقتصر على أشهر هذه الأقوال التي انتشرت وذاع صيتها، والتي ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله، وهما قول المعتزلة والجهمية، وقول الأشاعرة والكلابية[3]؛ فقد ذكرهما رحمه الله وكرّ عليهما بالتفنيد والإبطال بالحجج الدامغة من النقل والعقل.

فالقول الأول: قول المعتزلة والجهمية: القائلين أنّ كلام الله عزّ وجلّ مخلوق خلقه الله منفصلا عنه[4].

والقول الثاني: قول الكلابية والأشاعرة: القائلين أنّ الكلام معنى واحد قديم قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار؛ إن عبر عنه

---

(١) انظر الفتاوى ١٢/ ١٦٣.

(٢) شرح الطحاوية ص١٨٠.

(٣) الكلابية: هم أتباع أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب الذي سلك الأشعري مسلكه في طوره الثاني.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الكلابية والأشعرية خير من هؤلاء- يقصد النجارية والضرارية- في باب الأسماء والصفات فإنهم يثبتون لله الصفات العقلية، وأئمتهم يثبتون الصفات الخبرية في الجملة، كما فصلت أقوالهم في غير هذا الموضع. وأما في باب القدر، وسائر الأسماء والأحكام فأقوالهم متقاربة).
(الفتاوى ٣/ ١٠٣. وانظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٤٩، ٢٥١، ٢/ ٢٢٥، ٢٢٧).

(٤) شرح الأصول الخمسة ص٥٢٨.

بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة[1].

وسيأتي مزيد إيضاح لكلامه عند الردّ عليهم.

الردّ على الجهمية والمعتزلة:

سبق أن ذكرت أنّ الجهمية والمعتزلة نفوا صفات الله سبحانه وتعالى، ومن الأولى أن ينفوا صفة الكلام عن الله، ولذلك قالوا عن كلام الله أنه مخلوق.

وهذا ما صرح به عبد الجبار المعتزلي[2] بقوله: «وأما مذهبنا في ذلك فهو أنّ القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث»[3].

وقد بيّن الشيخ الأمين رحمه الله خطأ هذا القول وجهالة قائله، واستدل بالأدلة السمعية على بطلان هذا الرأي البعيد عن جادة الصواب والحقّ؛ فقال في تفسير النداء المذكور في قوله تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾الآية[4]: «فهو كلام الله أسمعه نبيه موسى. ولا يعقل أنه كلام مخلوق. ولا كلام خلقه الله في مخلوق كما يزعم ذلك بعض الجهلة الملاحدة؛ إذ لا يمكن أن يقول غير الله: ﴿إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾[5]، ولا أن يقول ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾[6]. ولو فرض أنّ الكلام

---

(١) أصول الدين للبغدادي ص١٠٦. والإرشاد ص٩٩. والمواقف ص٢٩٣. وشرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص١٠١، ١٠٤. وانظر أيضاً: الفتاوى ١٢/ ١٦٥. والبرهان ص٣٧. ومختصر الصواعق ٢/ ٥١٣.

(٢) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الاسترابادي. من كبار أئمة المعتزلة. ولد سنة (٣٥٩هـ)، وتوفي سنة (٤١٥). (انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٤٤. ومعجم المؤلفين ٥/ ٧٨. والأعلام ٣/ ٢٧٣).

(٣) شرح الأصول الخمسة ص٥٢٨.

(٤) سورة مريم، الآية [٥٢].

(٥) سورة النمل، الآية [٩].

(٦) سورة طه، الآية [١٤].

المذكور قاله مخلوق افتراء على الله كقول فرعون: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[1] على سبيل فرض المحال، فلا يمكن أن يذكره الله في معرض أنه حقّ وصواب. فقوله: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾[2]، وقوله: ﴿إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾[3] صريح في أنّ الله هو المتكلم بذلك صراحة لا تحتمل غير ذلك، كما هو معلوم عند من له أدنى معرفة بدين الإسلام»[4].

الردّ على الكلابية والأشعرية:

ذهب الكلابية والأشعرية إلى أنّ الله متكلم بكلام قائم بذاته أزلا وأبداً، لا يتعلق بمشيئته وقدرته، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عن بالسريانية كان إنجيلاً.

ونفوا أن يكون الله متكلماً بحرف وصوت؛ زاعمين أنّ كلامه سبحانه نفسيّ. أما القرآن الكريم: فقد صرحوا بأنه مخلوق محدث ليس كلام الله، بل هو عبارة عن كلام الله[5].

وقد بيّن الشيخ الأمين رحمه الله موقفهم من هذه الصفة بعبارة سهلة موجزة، فقال: «اعلم أنّ كثيراً من المتكلمين يزعمون أنّ كلام الله معنى قائم بذاته، مجرد عن الألفاظ والحروف. والأمر عندهم هو اقتضاء الفعل بذلك المعنى القائم بالنفس، المجرد عن الصيغة. ولأجل هذا الاعتقاد الفاسد قسموا الأمر إلى قسمين: نفسيّ ولفظيّ. فالأمر النفسي عندهم هو

---

(١) سورة النازعات، الآية [٢٤].
(٢) سورة طه، الآية [١٤].
(٣) سورة النمل، الآية [٩].
(٤) أضواء البيان ٤/ ٢٩٣-٢٩٤.
(٥) أصول الدين للبغدادي ص١٠٦. والإرشاد ص٩٩. والمواقف ص٢٩٣. والبرهان ص٣٧. وانظر: الفتاوى ٢/ ١٦٥.

ما ذكرنا، والأمر اللفظي هو اللفظ الدالّ عليه كصيغة "افعل"»[1].

ثمّ لما فصّل رحمه الله معتقدهم وموقفهم من كلام الله سبحانه وتعالى، ردّ رحمه الله على معتقدهم الفاسد مبيّنا بطلانه بالأدلة القوية المقنعة، مبرزاً القول الحقّ في هذه المسألة؛ فقال رحمه الله: «إذا علمت ذلك فاعلم أنّ هذا المذهب باطل، وأنّ الحقّ أنّ كلام الله هو هذا الذي نقرؤه بألفاظه؛ فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري. وقد صرح تعالى بذلك في قوله: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾[2]، فصرح بأنّ مايسمع ذلك المشرك المستجير بألفاظه ومعانيه كلامه تعالى. وأقام الحجج على أنّ ما في النفس إن لم يتكلم به لا يسمى كلاما؛ كقوله في قصة زكريا: ﴿قال آيتك ألاّ تكلم الناس﴾[3]، مع أنه أشار إليهم كما قال: ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا﴾[4]، فلم يكن ذلك المعنى القائم بنفسه الذي عبر عنه بالإشارة كلاماً. وكذلك قصة مريم: ﴿إني نذرت للرحمن صوما﴾ الآية[5]، مع قوله: ﴿فأشارت إليه﴾[6]، وفي الحديث: «إنّ الله عفى لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به»[7]. واتفق أهل اللسان على أنّ الكلام: اسم، وفعل، وحرف. وأجمع الفقهاء على أنّ من حلف لا يتكلم لا يحنث بحديث النفس، وإنما يحنث بالكلام»[8].

---

(١) مذكرة أصول الفقة للشيخ الأمين ص١٨٨-١٨٩.

(٢) سورة التوبة، الآية [٦].

(٣) سورة مريم، الآية [١٠].

(٤) سورة مريم، الآية [١١].

(٥) سورة مريم، الآية [٢٦].

(٦) سورة مريم، الآية [٢٩].

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١١٦-١١٧، بلفظ مقارب لما ذكره الشيخ رحمه الله، وفيه: "تجاوز" بدل "عفى"، مع تقديم وتأخير في بعض ألفاظه.

(٨) مذكرة أصول الفقه ص١٨٨-١٨٩.

وهكذا يتبين لنا مدى فهم الشيخ الأمين رحمه الله لعقيدة السلف، وتقريره لها؛ بإثبات الكلام لله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، والرد على الكلابية والأشعرية الذين قسموا الكلام إلى كلام نفسي وكلام لفظي، جاعلين كلام الرب جل وعلا من القسم الأول. ولاريب أن هذا التقسيم لم يقل به أحد من العقلاء، وأن الزعم بأن كلام الله نفسي قول على الله بغير علم.

ولم يكتف الشيخ الأمين رحمه الله بما ذكره آنفاً، بل استطرد في مواضع أخرى مبيناً أن الكلام في لغة العرب هو ما نطق به وتلفظ به، وسمع، لاما كان في النفس؛ إذ ما كان في النفس لايسمى كلاماً، بل يقيد بما يدل عليه، فيقال: حديث النفس، أو قول النفس؛ يقول رحمه الله موضحاً هذا الجانب: «وإذا أطلق الكلام في بعض الأحيان على ما في النفس، فلابد أن يقيد بما يدل على ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾[1]. فلو لم يقيد بقوله ﴿في أنفسهم﴾ لانصرف إلى الكلام باللسان»[2].

وبهذا يتضح لنا بطلان مذهب الأشاعرة والكلابية لتهافت محتوياته أمام الأدلة الدامغة من الكتاب والسنة، والتي يستند إليها الشيخ رحمه الله فيما ذهب إليه من رد أو تقرير.

٣- صفة اليدين:

صفة اليدين صفة خبرية ذاتية حقيقية ثابتة لله سبحانه وتعالى كما يليق

---

(١) سورة المجادلة، الآية [٨].

(٢) مذكرة أصول الفقه ص ١٨٩.

بجلال الله؛ قال الله تعالى ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[1]، وقال تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[3].

وقد دلت الآيات والأحاديث النبوية الكثيرة على هذه الصفة العظيمة لربنا سبحانه وتعالى.

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه الصفة، وبين أنها صفة كمال لله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه، وهي لاتشابه صفات المخلوقين؛ فقال رحمه الله: «فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق، هو كونها جارحة هي عظم ولحم ودم. هذا هو المتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى: ﴿فاقطعوا أيديهما﴾[4]. والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[5] أنها صفة كمال وجلال، لائقة بالله جل وعلا، ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله. وقد بين جل وعلا عظم هذه الصفة وما هي عليه من الكمال والجلال، وبين أنها من صفات التأثير كالقدرة؛ قال تعالى في تعظيم شأنها: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[6]. وبين أنها

(١) سورة ص، الآية [٧٥].
(٢) سورة المائدة، الآية [٦٤].
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١١٣.
(٤) سورة المائدة، الآية [٣٨].
(٥) سورة ص، الآية [٧٥].
(٦) سورة الزمر، الآية [٦٧].

صفة تأثير كالقدرة في قوله تعالى: ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[1]؛ فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي من صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى»[2].

وهذا الكلام من الشيخ الأمين رحمه الله هو معتقد السلف جميعاً في صفة اليدين لله سبحانه وتعالى على الحقيقة كما يليق بجلاله، وأنها لاتشابه يدي المخلوق كما أن ذات الله سبحانه وتعالى لا تشابه ذات المخلوق.

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: «نحن نقول: الله جل وعلا له يدان كما أعلمنا الخالق البارئ في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونقول: كلتا يدي ربنا عز وجل يمين»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد تواتر في السنة مجيء اليد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فالمفهوم من هذا الكلام أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتان له كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السموات بيده اليمنى، وأن يديه مبسوطتان. ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة الإعطاء»[4].

وهكذا نرى أن تناول الشيخ رحمه الله لهذه الصفة ينطلق من اتباعه

(١) سورة ص، الآية [٧٥].
(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٤٤-٤٤٥. وانظر: رحلة الحج ص ٧٩.
(٣) التوحيد لابن خزيمة ١/ ١٩٣.
(٤) الرسالة المدنية ص ٤٥.

لمنهج الوحي، وسلوكه مسلك السلف، ولذلك جاء تقريره للمذهب الحق المستند إلى الدليل في غاية القوة والبيان.

موقف الشيخ الأمين رحمه الله ممن تأول هذه الصفة:

أوَّل المتكلمون هذه الصفة كدأبهم في تحريف الصفات التي لاتنطبق مع أقيستهم وعقولهم، فعدوها من المتشابه؛ فأولتها المعتزلة بمعنى القوة أو النعمة[1]، وقال متأخرو الأشاعرة: هي بمعنى القدرة[2]. أما متقدمو الأشاعرة فأثبتوها صفة لله تعالى على ما يليق بجلاله كما هو معتقد السلف[3].

وقد رد الشيخ الأمين رحمه الله على من تأول هذه الصفة الكريمة، مظهراً زيف دعواهم، ومبيناً أن إثبات هذه الصفة على ما يليق بالله لا يأباه إلا ذوو القلوب المريضة بالتشبيه؛ فقال: «ولايصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة؛ لإجماع أهل الحق والباطل كلهم على أنه لايجوز تثنية القدرة. ولايخطر في ذهن المسلم المراجع عقله دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السموات والأرض»[4].

ثم ذكر رحمه الله شبههم التي يتعلقون بها، ورد عليها، وبين اللوازم التي تلزم هذا القول؛ فقال: «فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٢٢٨.

(٢) مشكل الحديث ص ٢٤٣. وأصول الدين ص ١١٠، والإرشاد ص ١٤٦. والمواقف.

(٣) أصول الدين ص ١١١.

(٤) أضواء البيان ٧/ ٤٤٥. وانظر: رحلة الحج ص ٨٤.

المذكورة وأمثالها لايليق بالله؛ لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان، وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث. ولم تكتف بذلك حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها. إن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى وعلى كتابه العظيم، وإنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين. وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل؛ فنفيت الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لايليق به، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب ولاسنة ولا إجماع ولا قول أحد من السلف. وماذا عليك لو صدقت وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف ولاتشبيه ولاتعطيل. وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق؟ وهل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق على أحد حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدال على صفة الخالق»[1].

وبعد هذا الرد من الشيخ رحمه الله على المؤولة، والذي أبان فيه زيف دعاويهم، وأنها لاحظ لها من كلام الله ولا رسوله ولا إجماع المسلمين، ولايدل عليها عقل ولاسمع: نراه رحمه الله يحذّر المؤولة ويخوفهم بالله أن يتجرؤوا على تحريف وصف الله لنفسه، مبيناً لهم أن كيفية صفات الرب جل وعلا لايحيط بها أحد ولايستطيع مخلوق معرفة كنهها، فهي ثابتة لله جل وعلا كما يليق بجلاله؛ فيقول رحمه الله: «فاخش الله يا إنسان، واحذر من التقوّل على الله بغير علم، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه. واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لايخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٤٥-٤٤٦.

يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول: هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك ولا من رسولك، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك؛ فاليد مثلاً التي وصفت بها نفسك لاتليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحة، وأنا أنفيها نفياً باتاً وأبدلها لك بوصف لائق بك وهو النعمة أو القدرة مثلاً، «أو الجود»[1].

وهكذا نلاحظ القوة التي يمتاز بها الشيخ رحمه الله في إيضاح الحق ودمغ الباطل، ففيها من الغيرة على الحق ومحاربة الباطل ما يجعلها قارعة على رؤوس المعطلين.

إشكال، وتوضيحه:

أورد الشيخ الأمين رحمه الله قضية قد تشكل على بعض الناس. ومضمونها: أن القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع السلف دل على أن الله متصف بأن له يدين - بالتثنية -. وكذلك أجمعوا على أن الله لايوصف بصفة الأيدي - بالجمع -. مع أن الله وصف نفسه بذلك، فقال: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾[2].

فلماذا أجمع السلف على تقديم آية﴿لما خلقت بيدي﴾[3] على آية «مما عملت أيدينا»؟[4].

وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن هذا السؤال: أنه لاتعارض ولا إشكال بين الآيتين، وأن صيغ الجموع لها معنيان. وقد بين رحمه الله هذه المعاني

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٤٦.

(٢) سورة يس، الآية [٧١].

وانظر: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذا المعنى «في الرسالة المدنية ص ٤٩».

(٣) سورة ص، الآية [٧٥].

(٤) انظر: أضواء البيان ٧/ ٤٦٣.

مدللا عليها بآيات من القرآن الكريم؛ فقال «الجواب: أنه لاخلاف بين أهل اللسان العربي، ولابين المسلمين أن صيغ الجموع تأتي لمعنيين؛ أحدهما: إرادة التعظيم فقط، فلا يدخل في صيغة الجمع تعدد أصلاً؛ لأن صيغة الجمع المراد بها التعظيم إنما يراد بها واحد. الثاني: أن يراد بصيغة الجمع معنى الجمع المعروف. وإذا علمت ذلك فاعلم أن القرآن العظيم يكثر فيه جداً إطلاق الله جل وعلا على نفسه صيغة الجمع؛ يريد بذلك تعظيم نفسه، ولايريد بذلك تعدداً، ولا أن معه غيره سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، كقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1]؛ فصيغة الجمع في قوله: ﴿إنا﴾ وفي قوله: ﴿نحن﴾، وفي قوله: ﴿نزلنا﴾، وقوله: ﴿حافظون﴾ لايراد بها أن معه منزلاً للذكر وحافظاً له غيره تعالى، بل هو وحده المنزل له والحافظ له. وكذلك قوله تعالى: ﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾[2]، وقوله: ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾[3]، وقوله: ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾[4]، ونحو هذا كثير في القرآن جداً، وبه تعلم أن صيغة الجمع في قوله: ﴿إنا﴾، وفي قوله: ﴿خلقنا﴾، وفي قوله: ﴿عملت أيدينا﴾[5] إنما يراد بها التعظيم، ولايراد بها التعدد أصلاً.

وإذا كان يراد بها التعظيم لا التعدد علم بذلك أنها لاتصح بها معارضة قوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾[6]؛ لأنها دلت على صفة اليدين، والجمع في

---

(١) سورة الحجر، الآية [٩].

(٢) سورة الواقعة، الآيتان [٥٨-٥٩].

(٣) سورة الواقعة، الآية [٦٩].

(٤) سورة الواقعة، الآية [٧٢].

(٥) سورة يس، الآية [٧١].

(٦) سورة ص، الآية [٧٥].

قوله: ﴿أيدينا﴾ لمجرد التعظيم. وما كان كذلك لايدل على التعدد، فيطلب الدليل من غيره، فإن دل على أن المراد بالتعظيم واحد حكم به. فقوله مثلاً: ﴿وإنا له لحافظون﴾[1] قام فيه البرهان القطعي أنه حافظ واحد. وكذلك قوله: ﴿أم نحن الخالقون﴾[2]، ﴿أم نحن المنزلون﴾[3]، ﴿أم نحن المنشئون﴾[4]؛ فإنه قد قام في كل ذلك البرهان القطعي على أنه خالق واحد، ومنزل واحد، ومنشئ واحد. وأما قوله: ﴿مما عملت أيدينا﴾ فقد دل البرهان القطعي على أن الله موصوف بصفة اليدين كما صرح به في قوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ كما تقدم إيضاحه قريباً. وقد علمت أن صيغة الجمع في قوله: ﴿لحافظون﴾، وقوله: ﴿أم نحن الخالقون﴾، وقوله: ﴿أم نحن المنزلون﴾، وقوله: ﴿أم نحن المنشئون﴾، وقوله: ﴿خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾[5]، لايراد بشئ منه معنى الجمع، وإنما يراد به التعظيم فقط»[6].

وهذا الجواب من الشيخ رحمه الله مقنع لمن أراد الحق ومعرفة معتقد السلف؛ فهو مقنع لطالب الحق غاية الإقناع بما اشتمل عليه من تقرير علمي رصين.

وقد نبه الشيخ الأمين رحمه الله إلى أن قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾[7] أن هذه الآية ليست من آيات الصفات، وأن ﴿أيد﴾ لايراد منها صفة اليد، وإنما هي بمعنى القوة؛ فقال

(١) سورة الحجر، الآية [٩].
(٢) سورة الواقعة، الآية [٥٩].
(٣) سورة الواقعة، الآية [٦٩].
(٤) سورة الواقعة، الآية [٧٢].
(٥) سورة يس، الآية [٧١].
(٦) أضواء البيان ٧/ ٤٦٣ - ٤٦٥.
وانظر كلام أبي الحسن في الإبانة (ص ١٠٤)، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية (ص ٧٥) عن هذا الإشكال.
(٧) سورة الذاريات، الآية [٤٧].

رحمه الله: «قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿بنيناها بأيد﴾ ليست من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم، لأن قوله: «بأيد» ليس جمع يد، وإنما الأيد: القوة، فوزن قوله هنا: ﴿بأيد﴾ فعل، ووزن الأيدي: أفعل؛ فالهمزة في قوله: «بأيد» في مكان الفاء، والياء في مكان العين، والدال في مكان اللام. ولو كان قوله تعالى: ﴿بأيد﴾ جمع يد، لكان وزنه أفعلا، فتكون الهمزة زائدة، والياء في مكان الفاء، والدال في مكان العين، والياء المحذوفة - لكونه منقوصاً - هي اللام. والأيد والآد في لغة العرب بمعنى القوة، ورجل أيد: قوي، ومنه قوله تعالى: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾[1]؛ أي قويناه. فمن ظن أنه جمع يد في هذه الآية فقد غلط غلطاً فاحشاً، والمعنى: والسماء بنيناها بقوة»[2].

[٤] صفة المعية:

تطرق الشيخ الأمين رحمه الله لهذه الصفة من عدة جوانب:

أحدها: أقسامها. وثانيها: الجمع بينها وبين استواء الله على عرشه. وثالثها: الردّ على الجهمية القائلين إنّ الله معنا بذاته.

أولاً: تقسيم المعية: أوضح الشيخ الأمين رحمه الله أنّ المعية تنقسم إلى قسمين؛ خاصة وعامة؛ فقال رحمه الله: «إنّ لله معية خاصة ومعية عامة. فالمعية الخاصة بالنصر والتوفيق والإعانة، وهذه لخصوص المتقين المحسنين؛ كقوله تعالى ﴿إنّ الله مع الذين اتقوا﴾ الآية[3]، وقوله: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم﴾ الآية[4]، وقوله: ﴿إنني معكما أسمع

(١) سورة البقرة، الآية [٨٧].
(٢) أضواء البيان ٧/ ٦٦٩
وانظر كلام أبي الحسن الأشعري (في الإبانة ص١٠٠-١٠١) عن هذه المسألة.
(٣) سورة النحل، الآية [١٢٨].
(٤) سورة الأنفال، الآية [١٢].

وأرى﴾[1]، وقوله ﴿لا تحزن إنّ الله معنا﴾[2]. ومعيّة عامة بالإحاطة والعلم؛ لأنه تعالى أعظم وأكبر من كلّ شيء، محيط بكلّ شيء. فجميع الخلائق في يده أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى»[3].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «وأما المعية العامة لجميع الخلق: فهي بالإحاطة التامة والعلم ونفوذ القدرة، وكون الجميع في قبضته جلّ وعلا»[4].

ثانياً: الجمع بين معيته سبحانه، واستوائه على عرشه جلّ وعلا.

لا شك أنّ من كان عالما بأحوال عباده، مطلعا عليهم، ومهيمنا عليهم، يسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر جميع أمورهم: أنه معهم حقيقة، وإن كان فوق عرشه حقيقة؛ لأنّ المعية لا تستلزم الاجتماع في مكان[5]. ومعيته لا تشبه معية مخلوق لمخلوق، بل هي معية على ما يليق بجلاله.

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى هذا المعنى؛ فقال: «إنه تعالى مستو على عرشه كما قال بلا كيف ولا تشبيه، استواء لائقاً بكماله وجلاله، وجميع الخلائق في يده أصغر من حبة خردل، فهو مع جميعهم بالإحاطة الكاملة والعلم التام، ونفوذ القدرة سبحانه وتعالى علواً كبيراً. فلا منافاة بين علوه على عرشه ومعيته لجميع الخلائق؛ ألا ترى- ولله المثل الأعلى- أنّ أحدنا لو جعل في يده حبة من خردل أنه ليس داخلا في شيء من أجزاء تلك الحبة مع أنه محيط بجميع أجزائها ومع جميع أجزائها. والسموات والأرض ومن فيهما في يده تعالى أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى سبحانه وتعالى علواً كبيراً. فهو أقرب إلى الواحد

---

(١) سورة طه، الآية [٤٦].

(٢) سورة التوبة، الآية [٤٠].

(٣) دفع إيهام الاضطراب- الملحق بأضواء البيان ١٠/ ١٧٦-١٧٧-.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ٣٩٠. وانظر كلام شيخ الإسلام في الفتاوى ١١/ ٢٤٩. وكلام الإمام ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٢٢.

(٥) من القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين ص٥٩-بتصرف.

منا من عنق راحلته[1]، بل من حبل وريده[2]، مع أنه مستو على عرشه، لا يخفى عليه شيء من عمل خلقه جلّ و علا»[3].

ثالثاً: الردّ على الجهمية القائلين إنّ الله معنا بذاته:

يرى الجهمية أنّ الله في كلّ مكان، وأنه معنا بذاته[4]. وقد استدلوا بقوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[5]، وقوله: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾[6]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ردّ عليهم الشيخ الأمين رحمه الله مبيّنا لهم أنّ هذا الفهم لهذه الآية غير صحيح؛ فالله سبحانه هو الذي أحاط بمخلوقاته، ولا تحيط به جلّ وعلا، فهو أكبر من كلّ شيء؛ فقال رحمه الله: «اعلم أنّ ما يزعمه الجهمية من أنّ الله تعالى في كلّ مكان مستدلين بهذه الآية[7] على أنه في الأرض: ضلال مبين، وجهل بالله تعالى؛ لأنّ جميع الأمكنة الموجودة أحقر وأصغر من أن يحلّ في شيء منها ربّ السموات والأرض الذي هو أعظم من كلّ شيء، وأعلى من كلّ شيء، محيط بكلّ شيء ولا يحيط به

---

(١) يشير رحمه الله إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم".
(أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٧٧).

(٢) يشير رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾. (سورة ق، الآية [١٦]).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب- الملحق بأضواء البيان ١٠/ ٢٨٥-. وانظر: أضواء البيان ٣/ ٣٩٠.
ولشيخ الإسلام رحمه الله، والحافظ ابن القيم رحمه الله كلام حول هذا المعنى. (انظر: الفتاوى ٥/ ١٠٣. ومختصر الصواعق ص٤٩١-٤٩٢).

(٤) انظر الردّ على الجهمية للإمام الدارمي ص١٨.

(٥) سورة الحديد، الآية [٤].

(٦) سورة الأنعام، الآية [٣].

(٧) يقصد قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾. (سورة الأنعام، الآية [٣]).

شيء، فالسموات والأرض في يده جلّ وعلا أصغر من حبة خردل في يد أحدنا- وله المثل الأعلى-، فلو كانت حبة خردل في يد رجل، فهل يمكن أن يقال: إنه حالّ فيها، أو في كلّ جزء من أجزائها؟ لا، وكلا هي أصغر وأحقر من ذلك. فإذا علمت ذلك: اعلم أنّ ربّ السموات والأرض أكبر من كلّ شيء، وأعظم من كلّ شيء، محيط بكلّ شيء ولا يحيط به شيء، ولا يكون فوقه شيء. ﴿ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾[1] سبحانه وتعالى علواً كبيراً، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً﴾[2]»[3].

وبهذا يتضح لنا بطلان هذا القول القبيح الذي هو حلول صرف؛ إذ يلزم منه أنّ الله تعالى حالّ في كلّ مكان، ليس في مكان دون آخر، ويلزم منه أن تكون الأماكن القذرة، وأجواف الخنازير محلاً لله سبحانه وتعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً.

[٥] صفة العلم:

العلم من صفات الله الذاتية، فهي لا تنفك عنه جلّ وعلا. وعلمه سبحانه وتعالى محيط بكلّ شيء أزَلاً وأبداً. وهو أحد مراتب القدر الأربعة؛ فقد علم الله سبحانه وتعالى جميع ما هو كائن، ولم يطلع على غيبه أحداً من خلقه، إلا ما أطلع عليه رسله تأييداً لهم في دعوتهم الناس إلى الإيمان به جلّ وعلا.

---

(١) سورة سبأ، الآية [٣].

(٢) سورة طه، الآية [١١٠].

(٣) أضواء البيان ٢/ ١٨٢-١٨٣. ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام حول هذا المعنى في الفتاوى (٥/ ٢٣٠).

وقد أوضح الشيخ رحمه الله هذه الصفة العظيمة فقال: «علم الغيب صفة مختصة بالله تعالى، وقد نفاها عن كلّ خلقه. وكونه يطلع بعض خلقه على بعض الغيب لا يقتضي أن يوصفوا بما وصف به»[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾[2]: «بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يقصّ على عباده يوم القيامة ما كانوا يعملونه في الدنيا، وأخبرهم بأنه جل وعلا لم يكن غائباً عما فعلوه أيام فعلهم له في دار الدنيا، بل هو الرقيب الشهيد على جميع الخلق، المحيط علمه بكلّ ما فعلوه من صغير وكبير، وجليل وحقير.

وبيّن هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إنّ الله بكلّ شيء عليم﴾[3]، وقوله: ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم﴾[4]، وقوله: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾[5] »[6].

---

(١) معارج الصعود ص١٠٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية [٧].
(٣) سورة المجادلة، الآية [٧].
(٤) سورة الحديد، الآية [٤].
(٥) سورة يونس، الآية[٦١].
(٦) أضواء البيان ٢/ ٢٩١. وانظر: المصدر نفسه ٢/ ٣٠٣، ٣٠٨.
ومنهج ودراسات ص ١٥-١٦. ورحلة الحج ص٧٦. ومعارج الصعود ص ٤٥، ٤٧، ٦٧، ١٠٠. وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن صفة العلم في الفتاوى ٦/ ٣٤٠.

(٦) صفات العلوّ والعظمة والكبرياء:

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله صفتي العلوّ والعظمة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وهو العليّ العظيم﴾[١]؛ فقال رحمه الله: «وصف نفسه جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة بالعلوّ والعظمة، وهما من الصفات الجامعة كما قدمنا في سورة الأعراف[٢]. . . . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من وصفه تعالى نفسه بهاتين الصفتين الجامعتين لكلّ كمال وجلال، جاء مثله في آيات أخر؛ كقوله تعالى: ﴿ولا يؤده حفظهما وهو العليّ العظيم﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿إنّ الله كان علياً كبيراً﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾ الآية[٦]، إلى غير ذلك من الآيات[٧].

وذكر رحمه الله صفة الكبرياء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[٨]؛ فقال رحمه الله: «ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنّ له الكبرياء في السموات والأرض؛ يعني أنه المختصّ بالعظمة والكمال والجلال والسلطان في السموات والأرض؛ لأنه هو معبود أهل السموات والأرض، الذي يلزمهم تكبيره وتعظيمه وتمجيده والخضوع والذلّ له»[٩].

---

(١) سورة الشورى، الآية [٤].

(٢) انظر أضواء البيان ٢/ ٣١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية [٢٥٥].

(٤) سورة النساء، الآية [٣٤].

(٥) سورة الرعد، الآية [٩].

(٦) سورة الجاثية، الآية [٣٧].

(٧) أضواء البيان ٧/ ١٥٠-١٥١. وانظر المصدر نفسه ٢/ ٣١٣-٣١٤.

(٨) سورة الجاثية، الآية [٣٧].

(٩) أضواء البيان ٧/ ٣٦١. وانظر: رحلة الحج ص٧٨. ومنهج ودراسات ص٢٣.

ثمّ ذكر رحمه الله أنّ ما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في آيات أخر؛ فذكر عدة آيات في القرآن الكريم، ومنها: قوله تعالى: ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾[1]؛ فقال رحمه الله: «معناه أنّ له الوصف الأكمل الذي هو أعظم الأوصاف وأكملها وأجلها في السموات والأرض. وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله يقول: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني في واحد منهما أسكنته ناري»[2]»[3].

[٧] صفة القدرة:

صفة القدرة من الصفات الذاتية. وقد ذكرها الشيخ رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿وهو على كلّ شيء قدير﴾[4]، قال: «أي قادر. وهذه الصفة التي هي صفة القدرة: هي التي يوجد الله جلّ وعلا بها الممكنات. وهو تعالى قادر على ما يشاء، وما لم يشأ؛ مثال ذلك: أنه تعالى شاء إيمان أبي بكر وهدايته، وقد هداه للإيمان، ولم يشأ إيمان أبي جهل، وهو قادر عليه، ولم تتعلق به مشيئته، فلم يوجده. وكلّ صفات الله عزّ وجلّ من الكمال؛ بحيث لو تصور شيء من المبالغة في الصفة فهي فوق ذلك»[5].

---

(١) سورة الروم، الآية [٢٧].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٣) بلفظ مقارب عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العزة إزاري والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته».
وأخرجه أبو داود (في سننه ٤/ ٣٥٠-٣٥١) عن أبي هريرة بنحو اللفظ الذي أورده الشيخ، وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عزّ وجلّ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار».
وكذا أخرجه ابن ماجه (في السنن ٢/ ١٣٩٧) بلفظ أبي داود إلا أنّ فيه: «ألقيته في جهنم» بدل «قذفته في النار».

(٣) أضواء البيان ٧/ ٢٦١. وانظر: المصدر نفسه ٥/ ١٣٦. وإبطال التأويلات ١/ ٢٣٢. والفتاوى ١٠/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) سورة هود، الآية [٤].

(٥) معارج الصعود ص٤٤. وانظر: أضواء البيان ٢/ ٣٠٧. ورحلة الحج ص٧٦. وآداب البحث ٢/ ١٣٢. ومنهج ودراسات ص١٣. وانظر أيضاً: الفتاوى ٦/ ١٨.

[٨] صفتا السمع والبصر :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : «﴿أبصر به وأسمع﴾[١] : أي ما أبصره وما أسمعه جلّ وعلا . وما ذكره في هذه الآية الكريمة من اتصافه جلّ وعلا بالسمع والبصر ذكره أيضاً في مواضع أخر ؛ كقوله : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[٢]، وقوله : ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إنّ الله سميع بصير﴾[٣]، وقوله تعالى : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إنّ الله سميع بصير﴾[٤]، والآيات بذلك كثيرة جداً»[٥] .

[٩] صفتا الحياة والقيومية :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : « ﴿وعنت الوجوه للحيّ القيوم﴾[٦] : «الحيّ : المتصف بالحياة، الذي لا يموت أبداً . والقيوم : صيغة مبالغة ؛ لأنه جلّ وعلا هو القائم بتدبير شئون جميع الخلق، وهو القائم على كلّ نفس بما كسبت . وقيل : القيوم : الدائم الذي لا يزول»[٧] .

وصفة القيومية صفة ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار ؛ فالله سبحانه وتعالى قائم بنفسه، ومقيم لغيره جلّ وعلا . وهذه الصفة تشبه صفة الكلام من

(١) سورة الكهف، الآية [٢٦].

(٢) سورة الشورى، الآية [١١].

(٣) سورة المجادلة، الآية [١].

(٤) سورة الحج، الآية [٧٥].

(٥) أضواء البيان ٤/ ٨١ . وانظر : المصدر نفسه ٢/ ٣٠٨ . ورحلة الحج ص٧٦ . وآداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٢ . ومنهج ودراسات ص١٤ . وانظر أيضاً : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ١٠٦ .

(٦) سورة طه، الآية [١١١].

(٧) أضواء البيان ٤/ ٥١٨ . وانظر كلام الشيخ الأمين رحمه الله عن صفة الحياة في : أضواء البيان ٢/ ٣٠٨ . ورحلة الحج ص٧٦ . وآداب البحث ٢/ ١٣٢ . ومنهج ودراسات ص١٤ .
وقد تكلم على صفة الحياة من السلف، فقال نحوا من كلام الشيخ الأمين، كلّ من شيخ الإسلام ابن تيمية (في الفتاوى ٦/ ٦٨)، وابن أبي العز (في شرح الطحاوية ص١٢٤)، وغيرهما .

حيث كونها صفة ذاتية فعلية؛ إذ أنّ صفة الكلام صفة ذاتية باعتبار نوع الكلام، وفعلية باعتبار أفراد الكلام.

[١٠] صفة الوجه:

قال رحمه الله: «والوجه صفة من صفات الله العلي وصف بها نفسه. فعلينا أن نصدق ربنا، ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التامّ عن مشابهة صفات الخلق»[١].

[١١) صفة العين:

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿بأعيننا ووحينا﴾[٢]: «العين صفة لله تعالى لائقة بجلاله، لا تشبه صفة المخلوقين.

وإنما جمعت هنا لمناسبة إضافتها إلى الضمير المجموع للتعظيم»[٣].

[١٢] صفة القدم:

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾[٤]: «وثبت في بعض الأحاديث أنّ النار لا يزال الله يلقي فيها، وتقول: هل من مزيد. فيضع ربّ العزة قدمه عليها فتقول: قط قط[٥]. وهذه صفة لله تعالى لائقة بجلاله تثبت كغيرها على أساس التنزيه»[٦].

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٥٠. وانظر المصدر نفسه ٢/ ٣٣٢، ٤/ ١٩٩، ٦/ ٤٥٧.

وكلام الشيخ هذا يشبه كلام من سبقه من السلف عن هذه الصفة الكريمة. (انظر مثلاً: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٤-٢٥. والفتاوى ٦/ ٦٨. ومختصر الصواعق ص٤١٧).

(٢) سورة هود، الآية [٣٧].

(٣) معارج الصعود ص١١٣. وللسلف رحمهم الله كلام حول هذه الصفة الكريمة يشبه ما أورده الشيخ الأمين رحمه الله. (انظر مثلاً: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٩٦-٩٧. والفتاوى ٦/ ٦٨).

(٤) سورة هود، الآية [١١٩].

(٥) يشير رحمه الله إلى الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٧)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٦-٢١٨٧).

(٦) معارج الصعود ص٣٠٤.

وممن تكلم من السلف على هذه الصفة بكلام يشبه كلام الشيخ الأمين: القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ١٩٥)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٦/ ٦٨)، وغيرهما.

[١٣] صفة الغضب :

قال رحمه الله : «اعلم أنّ الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم. نعوذ بالله من غضبه جلّ وعلا. ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت؛ فنصدق ربنا في كلّ ما وصف به نفسه، ولا نكذب بشيء من ذلك مع تنزيهنا التامّ له جلّ وعلا عن مشابهة المخلوقين سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً»(١).

فهي إذاً صفة ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته؛ لا يشبه غضبه غضب خلقه، كما أنّ صفاته كلها لا تشبه صفات خلقه؛ إذ الصفات تتبع المتصف بها، كما سبق أن قرر الشيخ الأمين رحمه الله ذلك.

[١٤] صفة الرحمة :

وفي بيان هذه الصفة يقول رحمه الله : «الرحمة صفة الله التي اشتق لنفسه منها اسمه الرحمن، واسمه الرحيم : وهي صفة تظهر آثارها في خلقه الذين يرحمهم، وصيغة التفضيل في قوله : ﴿وأنت خير الراحمين﴾(٢)؛ لأن المخلوقين قد يرحم بعضهم بعضاً، ولا شك أنّ رحمة الله تخالف رحمة خلقه؛ كمخالفة ذاته وسائر صفاته لذواتهم وصفاتهم(٣).

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٤٨٨. وانظر المصدر نفسه ٢/ ٣١٦.
وللسلف رحمهم الله كلام حول هذه الصفة يطابق ما أورده الشيخ الأمين رحمه الله. (انظر مثلاً: التدمرية ص٤٦. وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥٦).

(٢) سورة المؤمنون، الآية [١٠٩].

(٣) أضواء البيان ٥/ ٨٣٤. وانظر المصدر نفسه ١/ ١٠١، ، ٢/ ٣١٥. ورحلة الحج ص٧٩. ومنهج ودراسات ص٢٦. ومعارج الصعود ص٣٠، ٥٠، ١٢٠، ١٨٢، ٢١٩. وانظر أيضاً الفتاوى ٦/ ١٨.

[١٥] صفة المجيء :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾[١] : «ومثل هذا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه يمرّ كما جاء، ويؤمن بها، ويعتقد أنه حقّ، وأنه لا يشبه شيئاً من صفات المخلوقين. فسبحان من أحاط بكلّ شيء علماً، «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما» [٢] »[٣].

[١٦] صفة العجب :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿بل عجبت ويسخرون﴾[٤] : «هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي فيها إثبات العجب لله تعالى، فهي إذاً من آيات الصفات على هذه القراءة»[٥].

[١٧] صفة النور :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿الله نور السموات والأرض﴾[٦] : وصف الله بأنه نور. ومن أسمائه تعالى : النور. ومما يدلّ على وصفه به قوله تعالى : ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾[٧] »[٨].

وقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله بعض الصفات بإيجاز، وبيّن أنها ثابتة

---

(١) سورة الفجر، الآية [٢٢].
(٢) سورة طه، الآية [١١٠].
(٣) أضواء البيان ٢/ ٢٨٤.
(٤) سورة الصافات، الآية [١٢].
(٥) أضواء البيان ٦/ ٦٨٠.
ولأبي يعلى كلام قريب من هذا الكلام. (انظر : إبطال التأويلات ١/ ٢٤٥).
(٦) سورة النور، الآية [٣٥].
(٧) سورة الزمر، الآية [٦٩].
(٨) تفسير سورة النور ص١٣٨، جمعه الدكتور عبدالله قادري.

لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله؛ مثل صفة الإرادة[1]، وصفة الرضا[2]، وغيرهما.

وقد سرد الشيخ رحمه الله بعض الصفات، فقال: فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيء، ولا صفة يد ولا أصابع، ولا عجب، ولا ضحك؛ لأنّ هذه الصفات كلها من باب واحد؛ فما وصف الله به نفسه منها: فهو حقّ، وهو لائق بكماله وجلاله، لا يشبه شيئاً من صفات المخلوقين. وما وصف به المخلوق منها: فهو حقّ مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم»[3].

وبهذا يتضح لنا من الصفات التي ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله مفصلة، ومن الأخرى التي سردها سرداً أنّ منهجه رحمه الله هو منهج السلف؛ لا يتجاوزون الكتاب والسنة؛ فما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله محمد صلى عليه وسلم أثبتوه لله على ما يليق بجلاله وكماله. وما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نفوه عن الله جلّ وعلا. وهم في إثبات الصفات ينزهون الله تبارك وتعالى عن مشابهة المخلوقين تنزيها لا يصل إلى التعطيل، بل يتقيّدون بقوله جلّ وعلا: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[4].

وبما أوردته من كلام الشيخ الأمين رحمه الله حول الصفات يتضح لنا أنه رحمه الله سلفي العقيدة والمنهج؛ فعلى منهج السلف في الإثبات سار، وبما قالوا به قال رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة.

---

(١) أضواء البيان ٢/ ٣٠٧.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣١٦.

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٤٣-٤٤. وانظر كلام الحافظ ابن القيم رحمه الله: في مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٣٦٥).

(٤) سورة الشورى، الآية [١١].

المبحث الثاني

موقف الشيخ رحمه الله من أهل التأويل

المطلب الأول

معاني التأويل

التأويل له معان ثلاثة؛ أوضحها الشيخ الأمين رحمه الله وفصّلها، وهي:

الأول: بمعنى العاقبة، وما يؤول إليه الحال.

والثاني: بمعنى التفسير.

والثالث: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به. وهذا الأخير من وضع المتأخرين.

قال الشيخ رحمه الله مبيناً هذه الأقسام بأدلتها: «اعلموا أنّ التأويل يطلق في الاصطلاح مشتركاً بين ثلاثة معان:

١- يطلق على ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال. وهذا هو معناه في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[١]، ﴿ولما يأتهم تأويله﴾[٢]، ﴿يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل﴾[٣]: أي ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال.

٢- ويطلق التأويل بمعنى التفسير، وهذا قول معروف؛ كقول ابن جرير: القول في تأويل قوله تعالى: كذا؛ أي تفسيره.

٣- أما في اصطلاح الأصوليين: «فالتأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره

---

(١) سورة النساء، الآية [٥٩].

(٢) سورة يونس، الآية [٣٩].

(٣) سورة الأعراف، الآية [٥٣].

المتبادر منه لدليل»[1].

ثمّ بيّن رحمه الله أنّ التأويل بمعناه الأخير له ثلاث حالات. وذكر رحمه الله تلك الحالات مقرونة بأدلتها، مبينا المقبول منه من غير المقبول؛ فقال رحمه الله: وصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه له عند علماء الأصول ثلاث حالات:

أ- إما أن يصرفه عن ظاهره المتبادر منه لدليل صحيح من كتاب أو سنة. وهذا النوع من التأويل صحيح مقبول لا نزاع فيه. ومثال هذا النوع: ما ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الجار أحقّ بسقبه"[2]؛ فظاهر هذا الحديث ثبوت الشفعة للجار.

وحمل هذا الحديث على الشريك المقاسم حمل للفظ على محتمل مرجوح غير ظاهر متبادر. إلا أنّ حديث جابر الصحيح: "فإذا ضربت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة"[3] دلّ على أنّ المراد بالجار الذي هو أحقّ بصقبه خصوص الشريك المقاسم. فهذا النوع من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل واضح من كتاب أو سنة يجب الرجوع إليه. وهذا التأويل يسمى تأويلاً صحيحاً، وتأويلاً قريباً. ولا مانع منه إذا دلّ عليه النصّ.

ب- الثاني: هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لشيء يعتقده المجتهد دليلا، وهو في نفس الأمر ليس بدليل. فهذا يسمى تأويلاً بعيداً، ويقال له: فاسد. ومثّل له بعض العلماء بتأويل الإمام أبي حنيفة رحمه الله -لفظ

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٣٢-٣٣. وانظر: أضواء البيان ١/ ٣٢٩. وذكر هذه الأنواع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. (انظر العقيدة التدمرية ص٩١).

(٢) أخرجه البخاري ٣/ ٤٧.

والسقب، والصقب: القرب. (حاشية البخاري ٣/ ٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح ٣/ ٤٧ بنحوه، وفيه: "فإذا وقعت" بدل: "فإذا ضربت".

امرأة- في قوله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل"[1]؛ قالوا: حمل هذا على خصوص المكاتبة تأويل بعيد؛ لأنه صرف للفظ عن ظاهره المتبادر منه؛ لأنّ "أي" في قوله: "أيما امرأة" صيغة عموم، وأكدت صيغة العموم بـ "ما" المزيدة للتوكيد.

فحمل هذا على صورة نادرة هي المكاتبة حمل للفظ على غير ظاهره لغير دليل جازم يجب الرجوع إليه[2].

ثمّ بيّن رحمه الله التأويل الذي نحن بصدده، والمعنى في هذا المبحث، والذي ينطبق على تأويل أهل الكلام لصفات الله، وعلى تأويل الباطنية الذين يقولون إنّ لكلّ نص ظاهراً وباطناً؛ فيؤولون جميع نصوص الدين بما تشتهي أنفسهم.

وقد بيّن الشيخ رحمه الله أنّ هذا النوع لا يستحقّ أن يسمى تأويلاً، وإنما هو اعتداء، وتلاعب بنصوص الشرع؛ فقال رحمه الله: «وأما حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل: فهذا لا يسمى تأويلا في الاصطلاح، بل يسمى لعبا؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله تعالى: ﴿إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾[3] قالوا: عائشة».

«ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى محتملات ما أنزل الله بها من سلطان؛ كقولهم: "استوى" بمعنى "استولى"، فهذا لا يدخل في اسم التأويل، لأنه لا دليل عليه البتة، وإنما يسمى في اصطلاح أهل الأصول: لعبا: لأنه تلاعب بكتاب الله جلّ وعلا من غير دليل ولا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٣/ ٣٩٩، وقال: حديث حسن. وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٢٤٣: صحيح.

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٣٣-٣٤. وانظر أضواء البيان ١/ ٣٥٩.

(٣) سورة البقرة، الآية [٦٧].

مستند. فهذا النوع لا يجوز لأنه تهجم على كلام رب العالمين والقاعدة المعروفة عند علماء السلف: أنه لا يجوز صرف شيء من كتاب الله، ولا سنة رسوله عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل يجب الرجوع إليه»[1].

وقد ذكر شارح الطحاوية هذه المعاني الثلاثة، فقال عن المعنى الثالث منها: «والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك. وهذا هو التأويل الذي تنازع الناس فيه، فيه كثير من الأمور الخبرية والطلبية. والتأويل الصحيح منه الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد»[2].

والتأويل بالمعنى الثالث طغى على المعنيين الآخرين، وكتب له من الذيوع والانتشار بين الفقهاء والأصوليين والمتكلمين بحيث أصبح هو المتبادر إلى الذهن عند سماع لفظ التأويل، مع أنه لم يكن معروفاً بلغة العرب، ولا عند السلف[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المعنى الثالث: «وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدّل عليه اللفظ ويبيّنه.

وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف، وإنما سمى هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقة وأصوله والكلام، وظنّ هؤلاء أنّ قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾[4] يراد به هذا المعنى، ثمّ صاروا في هذا التأويل على طريقين؛ قوم يقولون: إنه لا يعلمه إلا الله. وقوم يقولون: أنّ الراسخين في العلم يعلمونه. وكلا الطائفتين مخطئة؛

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٣٣-٣٤. وانظر أضواء البيان ١/ ٣٣٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٥.

(٣) انظر قسم الدراسة في تحقيق قانون التأويل/ محمد السلماني ص٢٣٤. وابن تيمية وقضية التأويل ص١٣٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية [٧].

فإنّ هذا التأويل في كثير من المواضع أو أكثرها، وعامتها من باب تحريف الكلم عن مواضعه؛ من جنس تأويلات القرامطة والباطنية. وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، ورموا في آثارهم بالشهب»[1].

وقال ابن قدامة رحمه الله: «إنّ الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرنا عنهم. وكذلك أهل كلّ عصر بعدهم، ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة»[2].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المتأولة أنهم يزعمون أنّ النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، ولم يبين لهم تلك المعاني ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحقّ بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف النصوص من مدلولها. ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرف الحقّ من غير جهته. ثم قال رحمه الله: وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك[3].

وهؤلاء المؤولة منهم المقلّ ومنهم المكثر من التأويل؛ فالمعتزلة تنفي جميع الصفات، والأشاعرة يرون تأويل بعض الصفات، والجميع من الأشاعرة والمعتزلة يرون الإيمان بنصوص المعاد. وينكرون على الباطنية الذين يؤولونها، لكن للباطنية أن تلزمهم بتأويل نصوص المعاد قياساً على تأويلهم لنصوص الصفات، فيصبحوا مؤولة لجميع النصوص كالباطنية سواء

(١) نقض المنطق ص٥٨. وانظر: الفتوى الحموية الكبرى ص٤٠. ومختصر الصواعق ص١١. وشرح الطحاوية ص٢٣٢-٢٣٧.

(٢) ذمّ التأويل ص٤٠.

(٣) الفتوى الحموية الكبرى ص٣٨. وانظر كلام شيخ الإسلام عن معاني التأويل الثلاثة في التدمرية ص٩١-٩٢.

بسواء. أو يثبتوها مثل أهل السنة الذين يثبتون نصوص الكتاب والسنة كما أراد الله جلّ وعلا[1]. وبذلك تقوم الحجة على الباطنية والجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين يؤولون النصوص جميعها، أو بعضها.

ولا شك أنّ التأويل بمعناه الأخير معول هدم للدين الإسلامي، وتحريف لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا يستحقّ هذا المعنى أن يسمى تأويلاً، بل هو تحريف وتلاعب بنصوص الوحي، وفيه من الجناية على العقيدة الإسلامية ما يؤدي إلى هدمها ومسخها في أذهان من اتخذ التأويل طريقاً ومنهجاً نعوذ بالله من ذلك.

(١) انظر: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ١/ ١١٦-١١٧. والفتوى الحموية ص٣٨. والصفات الإلهية ص١٤٧.

المطلب الثاني

بعض شبه أهل التأويل، وردّ الشيخ عليها

لأهل التأويل شبه قدحت بأذهانهم عطلوا بها صفات الله، فكلما جاءتهم آية وحديث يخالف عقولهم وأفكارهم حرفوه وعطلوه، وقد بنوا معتقدهم على هذه الشبه التي أصلوها من عند أنفسهم زاعمين أنهم ينزهون الله عن صفات النقص ومشابهة الحوادث، وهم في الحقيقة قد شبهوه بالجمادات والمعدومات، وعطلوه عن صفات الكمال التي امتدح بها نفسه سبحانه، وأثنى عليه بها رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن هذه الشبه

الشبهة الأولى: قولهم أن ظاهر الصفة غير مراد ؛ لأن ظاهرها التشبيه :

قال صاحب الجوهرة :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها[1]

ومعنى هذا أن كل نص في القرآن الكريم والسنة النبوية فيه صفة الله سبحانه وتعالى، ويوهم المشابهة بصفات المخلوقين بزعمهم يصرف عن ظاهره ؛ مثل الاستواء : الذي أولوه بالاستيلاء . واليد : التي أولوها بالقدرة. والعين : التي أولوها بالرعاية. والمحبة : بإرادة الإحسان . وهكذا.

وقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله مضمون دعواهم هذه، فقال رحمه الله : «زعم كثير من النظار الذين عندهم فهم أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها غير لائقة بالله ؛ لأن ظواهرها المتبادرة منها هو تشبيه صفات الله بصفات خلقه. وعقد ذلك المَقَّري[2] في إضاءته في قوله :

(١) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص ١٢٨ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن المقري المغربي. ولد في تلمسان، ونشأ بها، ودخل مصر عام (١٠٢٨). وتوفي فيها عام (١٠٤١هـ).
(انظر مقدمة شرح إضاءة الدجنة المسماة بـ«رائحة الجنة» لعبد الغني النابلسي ص ٧ - ٨ ، والأعلام ١/ ٢٣٧).

والنص إن أوهم غير اللائق بالله كالتشبيه بالخلائق

فاصرفه عن ظاهره إجماعاً واقطع عن الممتنع الأطماعا»[1][2].

وقد ردّ رحمه الله على هذه الدعوى رداً مقنعاً مفحماً، حيث قال: «وهذه الدعوى الباطلة من أعظم الافتراء على آيات الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم. والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها لكل مسلم راجع عقله هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه. ولابد أن نتساءل هنا فنقول: أليس الظاهر المتبادر مخالفة الخالق للمخلوق في الذات والصفات والأفعال؟ والجواب الذي لاجواب غيره: بلى. وهل تشابهت صفات الله مع صفات خلقه حتى يقال إن اللفظ الدال على صفته تعالى ظاهره المتبادر منه تشبيهه بصفة الخلق؟ والجواب الذي لاجواب غيره: لا، فبأي وجه يتصور عاقل أن لفظاً أنزله الله في كتابه مثلاً دالاً على صفة من صفات الله أثنى بها تعالى على نفسه يكون ظاهره المتبادر منه مشابهته لصفة الخلق؟ سبحانك هذا بهتان عظيم؛ فالخالق والمخلوق متخالفان كل التخالف، وصفاتهما متخالفة كل التخالف، فبأي وجه يعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدال على صفة الخالق؟ أو دخول صفة الخالق في اللفظ الدال على صفة المخلوق مع كمال المنافاة بين الخالق والمخلوق؟ فكل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقاً بالخالق منزهاً عن مشابهة صفات المخلوق. وكذلك اللفظ الدال على صفة المخلوق لايعقل أن تدخل فيه صفة الخالق»[3].

ثم بين رحمه الله هذا التفصيل في الفرق بين صفات الله وصفات خلقه بمثال يوضح به أن الظاهر المتبادر من صفات الله هو كما يليق بجلاله، لايشابه صفة المخلوقين؛ قال رحمه الله: «فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق هو كونها جارحة هي عظم ولحم ودم، وهذا هو الذي

(١) إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة، مع شرحها ص ١٤٨ ط الأولى، عام ١٣٧٧هـ.
(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٤٣.
(٣) أضواء البيان ٧/ ٤٤٤.

يتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى: ﴿فاقطعوا أيديهما﴾[1]، والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[2] إنها صفة كمال وجلال لائقة بالله جل وعلا، ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله»[3].

الشبهة الثانية: قولهم أن التأويل إجماع:

يرى المتأولة أن التأويل مجمع عليه. وقد تقدم قول المقري في إضاءته:

فاصرفه عن ظاهره إجماعاً واقطع عن الممتنع الأطماعا[4]

وقد كذب الشيخ رحمه الله حكاية هذا الإجماع، وبين أنه لا أساس له من الصحة. وعقب على قول المقري بقوله: «إجماع مفقود أصلاً، ولا وجود له البتة؛ لأنه مبني على شرط مفقود لاوجود له البتة؛ فالإجماع المعدوم المزعوم لم يرد في كتاب الله، ولا في سنة رسوله، ولم يقله أحد من أصحاب رسول الله، ولا من تابعيهم ولم يقله أحد من الأئمة الأربعة، ولا من فقهاء الأمصار المعروفين. وإنما لم يقولوا بذلك؛ لأنهم يعلمون أن ظواهر نصوص الوحي لاتدل إلا على تنزيه الله عن مشابهة خلقه. وهذا الظاهر الذي هو تنزيه الله لاداعي لصرفها عنه كما ترى»[5].

وقد سبق الشيخ الأمين رحمه الله إلى القول بأن التأويل ليس من طريقة السلف كل من شيخ الإسلام ابن تيمية[6]، والذهبي[7]، وغيرهما. بل

(١) سورة المائدة، الآية [٣٨].

(٢) سورة ص، الآية [٧٥].

(٣) أضواء البيان ٧/ ٤٤٥. وانظر المصدر نفسه ٢/ ٣١٩، ٧/ ٤٥١.
ومنهج ودراسات ص ٣٥. ومنع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز - الملحق بأضواء البيان ١٠/ ٥٥.

(٤) إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة ص ١٤٨.

(٥) أضواء البيان ٧/ ٤٥١-٤٥٢.

(٦) الفتاوى ٦/ ٣٩٤.

(٧) سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٦١٠.

نص العلامة عبد الباقي الواهبي على تحريم التأويل في صفات الله، فقال رحمه الله: «يحرم تأويل ما يتعلق به تعالى وتفسيره؛ كآية الاستواء، وحديث النزول، وغير ذلك من آيات الصفات، إلا بصادر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو بعض الصحابة، وهذا مذهب السلف قاطبة»[1].

ولاشك أنه لم يصدر عن الله ولا عن رسوله ما يوجب التأويل، وإنما ما يوجب الإثبات.

الشبهة الثالثة: قولهم أن الصفات مجاز:

يرى المؤولة أن الصفات التي يؤولونها ليست على الحقيقة، بل هي من المجاز. والمجاز باب واسع، يمكن من خلاله تعطيل الصفات.

وقد رد الشيخ الأمين رحمه الله على هذه الشبهة فقال: «إن الله تبارك وتعالى موصوف بتلك الصفات حقيقة لامجازاً؛ لأنا نعتقد اعتقاداً جازماً لايتطرق إليه شك أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لاتدل البتة إلا على التنزيه عن مشابهة الخلق، واتصافه تعالى بالكمال والجلال. وإثبات التنزيه والكمال والجلال لله حقيقة لامجازاً لاينكره مسلم. ومما يدعو إلى التصريح بلفظ الحقيقة ونفي المجاز كثرة الجاهلين الزاعمين أن تلك الصفات لاحقائق لها، وأنها كلها مجازات. وجعلوا ذلك طريقاً إلى نفيها؛ لأن المجاز يجوز نفيه، والحقيقة لايجوز نفيها، فقالوا: مثلاً: اليد مجاز يراد به القدرة والنعمة، أو الجود؛ فنفوا صفة اليد لأنها مجاز. وقالوا: "على العرش استوى" مجاز؛ فنفوا الاستواء لأنه مجاز»[2].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «ومن المعلوم أن هذه الصفات لو كان يقصد بها شيء آخر من المجازات التي يحملها عليها المؤولون لبادر صلى الله عليه وسلم إلى بيانه؛ لأنه لايجوز في حقه صلوات الله عليه وسلامه

---

(١) العين والأثر ص ٣٥-٣٦.

(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٥٢. وأنظر المصدر نفسه ٧/ ٤٦٣.

تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، ولاسيما في العقائد»[1].

الشبهة الرابعة: الصفة التي لايشتق منها تؤول :

قال رحمه الله : «ومن الغريب أن بعض الجاحدين لصفات الله المؤولين لها بمعان لم ترد عن الله ولا عن رسوله يؤمنون فيها ببعض الكتاب دون بعض؛ فيقرون بأن الصفات السبع التي تشتق منها أوصاف ثابتة لله مع التنزيه، ونعني بها القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام؛ لأنها يشتق منها قادر حي عليم إلخ. وكذلك في بعض الصفات الجامعة؛ كالعظمة والكبرياء والملك والجلال مثلاً؛ لأنها يشتق منها العظيم والمتكبر والجليل والملك. وهكذا يجحدون كل صفة ثبتت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم يشتق منها غيرها؛ كصفة اليد والوجه، ونحو ذلك. ولاشك أن هذا التفريق بين صفات الله التي أثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم لا وجه له البتة بوجه من الوجوه، ولم يرد عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم الإذن في الإيمان ببعض صفاته وجحد بعضها، وتأويله؛ لأنها لايشتق منها. وهل يتصور عاقل أن يكون عدم الاشتقاق مسوغاً لجحد ما وصف الله به نفسه؟ ولاشك عند كل مسلم راجع عقله أن عدم الاشتقاق لايرد به كلام الله فيما أثنى به على نفسه، ولاكلام رسوله فيما وصف به ربه. والسبب الموجب للإيمان إيجاباً حتماً كلياً هو كونه من عند الله، وهذا هو الذي علم الراسخون في العلم أنه الموجب للإيمان بكل ما جاء عن الله سواء استأثر الله بعلمه؛ كالمتشابه، أو كان مما يعلمه الراسخون في العلم، كما قال الله عنهم: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾[2]»[3].

---

(١) رحلة الحج، للشيخ الأمين رحمه الله ص ٨٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية [٧].
(٣) أضواء البيان ٧/ ٤٤٧.

الشبهة الخامسة: الصفة التي ليس لها آثار تؤول :

قال الشيخ الأمين رحمه الله : «وما يزعمه بعضهم من أن القدرة والإرادة مثلاً، ونحوهما ليست كاليد، والوجه بدعوى أن القدرة والإرادة مثلاً ظهرت آثارهما في العالم العلوي والسفلي بخلاف غيرهما كصفة اليد ونحوها. فهو من أعظم الباطل، ومما يوضح ذلك أن الذي يقوله هو وأبوه وجده من آثار صفة اليد التي خلق الله بها نبيه آدم»[1].

الشبهة السادسة: أن الاستواء والعلو والفوقية تستلزم الجهة :

ذكر رحمه الله هذه الشبهة، ورد عليها، وفصل في المعنى المراد من الجهة، فقال: «واعلم أن ما يزعمه كثير من الجهلة من أن ما في القرآن العظيم من صفة الاستواء والعلو والفوقية يستلزم الجهة، وأن ذلك محال على الله، وأنه يجب نفي الاستواء والعلو والفوقية، وتأويلها بما لادليل عليه من المعاني: كله باطل. وسببه سوء الظن بالله وكتابه، وعلى كل حال فمدعي لزوم الجهة لظواهر نصوص القرآن العظيم، واستلزام ذلك للنقص الموجب للتأويل. يقال له: ما مرادك بالجهة؟ إن كنت تريد بالجهة مكاناً موجوداً انحصر فيه الله، فهذا ليس بظاهر القرآن، ولم يقله أحد من المسلمين. وإن كنت تريد بالجهة: العدم المحض فالعدم عبارة عن لاشيء؛ فميز أولاً بين الشيء الموجود، وبين لاشيء»[2].

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذه الشبهة[3]. بنحو كلام الشيخ الأمين رحمه الله.

الشبهة السابعة: قول المفوضة: إن قولكم حقيقة لا مجازاً لم يرد عن السلف :

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٤٨.
(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٥٩-٤٦٠.
(٣) أنظر العقيدة التدمرية ص ٦٦.

وقد رد الشيخ الأمين رحمه الله على هذه الشبهة رداً مقنعاً، فقال: «إنما قلنا حقيقة لا مجازاً لقطعنا وجزمنا بأن تلك الصفات التي مدح الله بها نفسه صفات كمال وجلال منزهة عَن مشابهة صفات الخلق؛ كتنزيه ذاته عن مشابهة ذواتهم. وجميع العقلاء إذا راجعوا عقولهم تحققوا أن الظاهر المتبادر لكل مسلم هو مخالفة الله لخلقه وتنزيهه عن مشابهتهم في صفاتهم وذواتهم وأفعالهم؛ فالظاهر المتبادر من صفة الاستواء والوجه واليد مثلاً أنها صفات كمال وجلال منزهة عن كل ما يخطر في قلوب الجهلة من مشابهة صفات الخلق. وإذا كان ظاهرها المتبادر منها التنزيه وعدم المشابهة فإثباتها حقيقة لا محذور فيه؛ لأن إثبات الكما ل والتنزيه لله لا محذور فيه البتة»[1].

وقال في موضع آخر: «إن سبب نفوره[2] من لفظة الحقيقة ونفي المجاز هو ما ينطوي عليه قلبه من سوء الظن بكلام الله في كتابه، وأن ظاهره المتبادر منه الكفر والتشبيه. ولو هداه الله إلى ما هدى إليه السلف الصالح من اليقين الجازم بأن ما مدح الله به نفسه في كتابه بالغ من الكمال والتنزيه ما يقطع علائق الوساوس وأوهام التشبيه؛ لأنه جل وعلا لا يمكن بحال أن يشبهه شيء من خلقه لما وقع فيما وقع فيه؛ فقد كان في بادئ الأمر يتبادر إلى ذهنه التشبيه لظنه أن ظواهر آيات الصفات تستلزم التشبيه، وكان ثانياً معطلاً بدعواه أن ما مدح الله به نفسه في كتابه من الصفات كالاستواء، واليد لا حقيقة له. وأي جهل بالله، وأي إلحاد في آياته أعظم من دعوى أن معاني آياته لا حقيقة لها. سبحانك هذا بهتان عظيم. وعلى كل حال فإنا نقطع بأن ما مدح الله به نفسه في كتابه كله كمال وجلال منزه أتم التنزيه عن مشابهة الخلق، وأن حقيقة ذلك الكمال والجلال ثابتة له تعالى حقاً؛ لأن من

---

(١) المعين والزاد ص ٤٣.

(٢) يقصد المفوض.

أسمائه تعالى الحق؛ فهو جل وعلا حق، وعبادته وحده حق. وجميع صفاته حق، وكل ما أثنى به على نفسه حق يقين. فمن ادعى على شيء من صفاته التي مدح بها نفسه أنها لاحقيقة لها متهجماً عليها بإدعائه أن ظاهرها المتبادر منها الكفر الذي هو مشابهة صفات الخلق. فالله جل وعلا حسبه، وسيجازيه الجزاء اللائق به»[1]. . . . إلى أن قال رحمه الله: «وقد قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. فلو كان الاستواء لاحقيقة له عنده لما صرح بأن الإيمان به واجب، ولقال: إنه يجب تأويله بمعنى آخر، وأنه مجاز ولا حقيقة له»[2].

وقال رحمه الله أيضاً في معرض الرد عليهم: «إن أصل الحقيقة في اللغة التي نزل بها القرآن "فعيلة" بمعنى: فاعل، من قول العرب: حق الشيء، بمعنى ثبت. أو بمعنى مفعول من حققت الشيء - بتخفيف القاف - إذا أثبته. وإذا علمت أن الحقيقة معناها من معنى مادة الثبوت، فثبوت صفات الله دلت عليه نصوص الوحي دلالة قاطعة لانزاع فيها. فمعنى اتصافه بصفاته حقيقة بدلالة المطابقة: هو كونها ثابتة له حقاً. وهذا هو معنى نصوص الوحي، فلا زيادة فيه البتة على المعنى الذي دل عليه الوحي. وقد ذكرنا آنفاً أن من أسمائه الحق، وذلك مستلزم لأن صفاته كلها حق، وكل ما هو ثابت حقيقة فهو حق، وبهذا تعلم أن نفي الحقيقة عن بعض الصفات مستلزم لنفي ثبوتها، ونفي ثبوت ما أثبته الله لنفسه محادة له جل وعلا من حيث لايشعر ذلك النافي. وأما نفي المجاز عن صفات الله فقد أوضحناه في رسالة مستقلة، ومن أوضح أدلته أن القائلين بالمجاز منذ نشأ المجاز مجمعون على أن من الفوارق بينه وبين الحقيقة في اصطلاح البيانيين أن كل

(٣) المعين والزاد، ص ٤٣-٤٤.
(٤) المعين والزاد، ص ٤٥.

مجاز يجوز نفيه باعتبار الحقيقة . . . ومعلوم أن ما مدح الله به نفسه في كتابه لايجوز نفي شيء منه، وذلك يستلزم منع المجاز فيؤول؛ لأن وجود المجاز يستلزم جواز النفي كما وضحنا»[1].

وما قاله الشيخ الأمين رحمه الله في رده على هذه الشبهة قد قاله غيره من أئمة أهل السنة والجماعة؛ كالإمام ابن عبد البر رحمه الله الذي قال: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لايكيفون شيئاً من ذلك، ولايحدون فيه صفة محصورة»[2].

وفي ختام هذا المبحث نشير إلى أن الشيخ الأمين رحمه الله أورد سؤالين بلسان أهل التأويل، ثم أجاب عليهما، ونسفهما من أساسهما موضحاً أنهما مجرد شبهة تدور في مخيلة المتأولة يلقونها في أسماع من يصغي إليهم ليبدلوا كلام الله ويحرفوا معانيه.

وقد أورد الشيخ رحمه الله سؤالهم الأول، بقوله: «اعلم أنه إن قال معطل متنطع: نحن لانعقل كيفية استواء مثلاً منزهة عن مشابهة كيفية استواء الخلق، فبينوا لنا كيفية معقولة منزهة عن مشابهة كيفيات استواء الخلق لنعتقدها؛ لأنا لم تدرك عقولنا كيفية استواء منزهة عن ذلك؟»[3].

ثم أجاب الشيخ رحمه الله عن هذا السؤال مبيناً أن أشباه هذا السؤال يورده المعاند ليبطل به المعتقد السلفي، وقد سد رحمه الله على المعاند كل

(١) الزاد والمعين، ص ٤٥-٤٦.

(٢) التمهيد ٧/ ١٤٥.

وهذه المسألة من المسائل التي نوقش فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين حبس. وقد رد عليهم بالرد المقنع.

(انظر: الفتاوى ٣/ ١٨٨، ١٩٩). وانظر كلام الإمام أبي الحسن الأشعري عن الحقيقة. (في رسالة أهل الثغر ص ٢١٣، ٢١٦).

(٣) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٠. وانظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٥.

الطرق التي سلكها للنيل من العقيدة. فأجاب عن هذا السؤال بجوابين، يكفي واحد منهما لدمغ حجتهم، فقال: «الأول: أن يقال: هل عرفت كيفية الذات الكريمة المقدسة المتصفة بتلك الصفات؟ فلابد أن يقول: لا. فإن قال: لا، قلنا له: معرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات؛ لأن الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها؛ فكل صفة بحسب موصوفها»[1].

وفي هذه الإجابة تظهر لنا براعة الشيخ الأمين رحمه الله؛ فهو قد بدأ مع السائل وانطلق معه من قاعدة يتفقان عليها، وأوضح له أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات؛ فإذا كنت تثبت لله ذاتاً حقيقية لاتشبه ذوات خلقه، وهذا أمر نتفق عليه؛ إذ لاتشبه ذات الله الذوات، ولانعلم كيفيتها، فمن البديهي إذاً أن صفات الله تختلف عن صفات خلقه، وأن لانعلم كيفيتها. وحينئذ فليس أمام هذا المعترض إلا أن يرضخ أمام هذا الجواب المقنع، ويسلم.

ولم يكتف الشيخ رحمه الله بما سبق، بل أورد مثلاً فيه عبرة لمن أراد الله هدايته؛ برهاناً صادقاً مشاهداً في الوجود، وحجة بالغة، فقال: «ألا ترى - ولله المثل الأعلى - أن لفظة رأس مثلاً إذا أضفتها إلى الإنسان فقلت: رأس الإنسان، وأضفتها إلى الوادي أو أضفتها إلى الجبل فقلت: رأس الجبل، وأضفتها إلى المال فقلت: رأس المال: أن لفظة الرأس لفظة واحدة، وأنها اختلفت حقائقها اختلافاً عظيماً بحسب اختلاف إضافاتها. وهذا في اختلاف الإضافات إلى مخلوقات حقيرة، فما بالك بالاختلاف الواقع بين ما أضيف إلى الخالق وما أضيف إلى خلقه؛ فالفرق بين ذلك كالفرق بين ذات الخالق وذوات المخلوقين»[2].

(١) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٠. وانظر: منهج ودراسات ص ٤٥. وأضواء البيان ٢/ ٣٢٠، ٧/ ٤٥٠.

(٢) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣١ وأضواء البيان ٧/ ٤٥١. وانظر منهج ودراسات ص ٤٥-٤٦.

وبهذا يوضح الشيخ الأمين رحمه الله قاعدة مهمة؛ وهي أن الألفاظ قبل الإضافة والتخصيص هي معان مشتركة، ولكنها بعد الإضافة والتخصيص تخص من أضيفت إليه. وهذا ملحوظ فيما بين المخلوقات، فكيف بين الخالق جل وعلا وبين المخلوق؛ فصفات الله جل وعلا تشترك مع صفات المخلوق في المعنى العام الكلي، وتفترق بعد الإضافة والتخصيص.

بل هي تفترق بعد الإضافة والتخصيص بين المخلوقات أنفسها؛ فلفظة اليد مثلاً من المعاني المشتركة، لكن إذا قلت: يد الباب، أو يد الإنسان، أو يد الطائر، أو يد الحيوان؛ ظهرت النتيجة الدالة على التفاوت فيما بين هذه المخلوقات، فكيف بين الخالق جل وعلا وبين خلقه، إنها والله لأعظم مباينة.

أما الشق الثاني من الجواب على هذا السؤال؛ فهو خاص بمن أثبت بعض الصفات، وأول البعض الآخر؛ فيلزمه أن يثبت بقية الصفات كما يليق بجلاله سبحانه، مثل ما قال في بعضها؛ إذ الكل لانعلم كيفيتها، والمشابهة منتفية عن الجميع؛ قال رحمه الله: «الوجه الثاني: هو أن تقول: هل عرفتم كيفية منزهة عن مشابهة الخلق في السمع والبصر مثلاً؟ فلابد أن يقولوا أيضاً: لا، ولكنا نعلم أن سمع الله وبصره منزهان عن مشابهة أسماع الخلق وأبصارهم. فإن قالوا ذلك، قلنا: ونحن نقول مثل ذلك في الاستواء، وسائر الصفات الثابتة بالوحي الصحيح»[1].

وبعد هذا البسط الواضح من الشيخ الأمين رحمه الله في الإجابة عن هذا السؤال الإجابة المقنعة التي تزيل الشبه، وتمحو التصورات التي يحسبها أصحابها علماً ومهارة يخدعون بها السذج ويبلبلون أفكارهم ومعتقداتهم: أريد أن أقول: إن الشيخ الأمين رحمه الله بهذه الإجابة الواضحة دلل على

(١) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣١.

أنه قد أوتي علماً وافياً وحجة بالغة في مجادلة الخصوم، وأعطى مثلاً واضحاً للداعية في الأسلوب الذي ينبغي أن يحتذي به في إقناع الخصم من غير إثارة البغضاء والجدل. فرحم الله الشيخ الأمين رحمة واسعة.

أما السؤال الثاني:

فقد أورده رحمه الله بقوله: «اعلم إن قال معطل متنطع: إن القرآن العظيم نزل بلغة العرب، والاستواء في لغتهم هو هذا الذي نشاهده في استواء المخلوقين، فإثباته لله يستلزم التشبيه بالخلق بحسب الوضع العربي الذي نزل به القرآن»[1].

وقد رد رحمه الله على هذا السؤال، وبين بطلانه من وجهين:

الأول: أن المعترض لم يفرق بين الخالق والمخلوق، لكن العرب لم يقعوا في هذا الخطأ؛ فهم يعرفون ما بين الخالق والمخلوق من مباينة، وأن للخالق صفات تليق بعظمته، وهي صفات كمال لانقص فيها، وللمخلوق صفات مناسبة تليق بما هو عليه من النقص والضعف؛ فقال رحمه الله موضحاً هذا المعنى: «الأول: أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم يعلمون كل العلم من معاني لغتهم أن بين الخالق والمخلوق، والرازق والمرزوق، والمحيي والمحيى، والمميت والممات، إلى آخره فوارق عظيمة هائلة مستلزمة للاختلاف التام بين صفات الخالق والمخلوق والرازق والمرزوق. وأن أصل اللغة يقتضي أن تكون صفة كل منهما مناسبة لحاله؛ فعظمة صفة الخالق كعظمة ذاته، وانحطاط صفة المخلوق عنها كانحطاط ذاته عن عظمة ذاته. وما كان يلتبس ذلك على عوام المسلمين في زمنه صلى الله عليه وسلم، فما كان يخطر في عقولهم مشابهة صفة الخالق لصفة خلقه، بل يعلمون أن صفة الخالق لائقة به، وصفة المخلوق لائقة به، والفرق بينهما كالفرق بين الذات

(١) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣١. وانظر: أضواء البيان ٧/ ٤٤٩.

والذات»[1].

أما الشق الثاني من الجواب: فقد عنى به الشيخ رحمه الله من أثبت بعض الصفات من غير كيف، وأول الباقي: أنه يلزمه إثبات الجميع لله من غير كيف، أو نفي الجميع؛ لأنها تشابه صفات المخلوقين؛ فقال رحمه الله: «الوجه الثاني: أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لا يعرفون للسمع والبصر مثلاً كيفية إلا هذا المعنى المشاهد في المخلوقين بالحاسة التي هي جارحة، فيلزم قولكم أن يكون إثبات السمع والبصر ونحوهما من الصفات يستلزم التشبيه بحسب الوضع العربي الذي نزل به القرآن. فإن قالوا: لا يلزم من كون الوضع العربي يراد فيه بمعنى السمع والبصر ما هو مشاهد في المخلوقات أن يكون سمع الله وبصره مشابهين لأسماع الخلق وأبصارهم، لتنزيه صفاته عن مشابهة صفاتهم. قلنا: وكذلك نقول في الاستواء ونحوه، ولا وجه البتة للفرق بين السمع والبصر وبين الاستواء، والمشاهد من الجميع في المخلوقات لا يليق بالله جلّ وعلا، والذي اتصف الله به من الجميع منزه عن مشابهة صفات الخلق؛ كتنزيه سائر صفاته وذاته عن مشابهة صفات الخلق وذواتهم»[2].

ونلاحظ في هذا الجواب قوة الحجة التي عرضها الشيخ الأمين رحمه الله، إذ أنه قد استخدم حجة المنازع المثبت لبعض الصفات، فألزمه أن يقول في بعض الصفات كما قال في بعضها الآخر؛ إما إثباتاً، وإما نفياً؛ لأنّ التفريق بينهما قول على الله بغير علم وتحكم بغير دليل، وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية على ثبوت الصفات لله من غير كيف.

(١) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣١. وانظر: أضواء البيان ٧/ ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣١ - ١٣٢.

وانظر الإجابة عن هذين السؤالين أيضاً: في أضواء البيان ٢/ ٣٢٠، ٧/ ٤٤٩ - ٤٥١. ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٥.

المطلب الثالث

مقارنة بين مذهب السلف والخلف

السلف يثبتون صفات الله على الحقيقة، ويفوضون الكيفية إلى العليم الخبير؛ فلا يحرفون، ولا يعطلون، ولا يشبهون، ولا يفوضون المعنى.

وقد غلط المتكلمون في فهم معتقد السلف، ورجحوا عليه مذهب الخلف؛ قال البيجوري[1]: «طريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الإيضاح، والرد على الخصوم. وهي الأرجح. وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى غير مراد له تعالى»[2].

فكذب على السلف حيث جعل معتقدهم التفويض المحض، والجهل بكلام الله وعدم العلم والفقه؛ فآمنوا باللفظ وجهلوا المعنى. وجعل الخلف أعلم وأفقه وأحكم طريقة؛ لأنهم صرفوا اللفظ إلى معاني بنوع من التكلف[3].

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله خطأ هذه المقالة وتهافتها، وجورها؛ حيث اتهمت السلف بالجهل بكلام الله، والتفويض المحض، ورد عليها، وأكد أن طريق السلامة متضمن العلم والحكمة؛ إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة؛ فقال رحمه الله: «وصفوا مذهب السلف بأنه أسلم، وهي صيغة تفضيل، من السلامة. وما كان يفوق غيره، ويفضله في السلامة فلا شك أنه أعلم منه وأحكم»[4].

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري؛ شيخ الجامع الأزهر في وقته، أشعري العقيدة. له عدة مؤلفات منها: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد. توفي سنة (١٢٧٧هـ).
(انظر: الأعلام ١/ ٧١. ومعجم المؤلفين ١/ ٨٤).

(٢) تحفة المريد صـ٩١.

(٣) انظر العقيدة الحموية الكبرى صـ١٤.

(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات صـ٤٦ - ٤٧.

وقال رحمه الله في موضع آخر : «إن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم ، وقولهم : مذهب السلف أسلم ؛ إقرار منهم بذلك ؛ لأن لفظ أسلم : صيغة تفضيل من السلامة ، وما كان يفضل غيره ويفوقه في السلامة فهو أحكم منه وأعلم . وبه يظهر أن قولهم : ومذهب الخلف أحكم وأعلم : ليس بصحيح بل الأحكم الأعلم هو الأسلم كما لا يخفى»[1] .

فلا وجه لجعل الخلف أعلم وأحكم من السلف ، مع اعترافهم بأن مذهب السلف أسلم ؛ فالسلامة إذا وجدت في شيء فلا بد أن يكون أحكم وأعلم ؛ إذ من المستحيل أن توجد السلامة في شيء لا تتوفر فيه الحكمة والعلم ؛ إذ السلامة من ثمراتهما .

والشيخ الأمين رحمه الله لا يرضى هذا الفهم الناقص لمعتقد السلف ؛ إذ هو تجهيل لهم ، وتفضيل لأهل الجدل والسفسطة[2] عليهم . وفيه انتقاص للصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم من صالح الأمة ؛ إذ هم المعنيون بكلمة «السلف» .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ردّ على هذه المقولة ردّ به على الأشاعرة . فقال : «وتارة يجعلون إخوانهم المتأخرين أحذق وأعلم من السلف ، ويقولون : «طريقة السلف أسلم ، وطريقة هؤلاء أعلم وأحكم» . فيصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان والتحقيق والعرفان ، والسلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه ، أو الخطأ والجهل ، وغايتهم عندهم أن يقيموا أعذارهم في التقصير والتفريط . ولا ريب أن هذا شعبة من الرفض ؛ فإنه وإن لم يكن تكفيراً للسلف . كما يقوله من يقوله من الرافضة والخوارج ، ولا تفسيقا لهم كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم

---

(١) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٦ .

(٢) يراد بالسفسطة الخداع والتمويه في الكلام .

راجع : بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/ ٣٢٢ - ٣٢٤ .

كان تجهيلاً لهم، وتخطئة وتضليلاً، ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي، وإن لم يكن فسقاً، فزعماً أن أهل القرون المفضولة في الشريعة أعلم وأفضل من أهل القرون الفاضلة. ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها القرن الأول. ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله أيضاً في موضع آخر يمدح منهج السلف: «ومن تدبر كلام أئمة السنة المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظراً، وأعلم الناس في هذا الباب بصحيح المنقول وصريح المعقول. وأن أقوالهم هي الموافقة للمنصوص والمعقول، ولهذا تأتلف ولا تختلف، وتتوافق ولا تتناقض، والذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، فلم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول، فتشعبت بهم الطرق، وصاروا مختلفين في الكتاب، مخالفين للكتاب، وقد قال تعالى: ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾[2]»[3].

وقد رد العلامة مرعي الكرمي رحمه الله على من قال بأن مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أحكم وأعلم بقوله: «فمذهب السلف أسلم، ودع ما قيل من أن مذهب الخلف أعلم؛ فإنه من زخرف الأقاويل، وتحسين الأباطيل؛ فإن أولئك قد شاهدوا الرسول والتنزيل، وهم أدرى بما نزل به الأمين جبريل، ومع ذلك فلم يكونوا يخوضون في حقيقة الذات»[4].

وبعد معرفة حقيقة مذهب السلف الذي اختلط على المتكلمين فلم

---

(١) الفتاوى ٤/ ١٥٧ - ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية [١٧٦].

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٣٠١.

(٤) أقاويل الثقات صـ٤٦.

يفهموه، بين لنا الشيخ الأمين رحمه الله موقف السلف من صفات الله تعالى بياناً يدل على أن معتقد السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم، فقال رحمه الله : «إن من كان على معتقد السلف الصالح إذا سمع مثلاً قوله تعالى: ﴿على العرش استوى﴾ امتلأ قلبه من الإجلال والتعظيم والإكبار لصفة ربّ العالمين التي مدح بها نفسه، وأثنى عليه بها، فجزم بأن تلك الصفة التي تمدح بها خالق السموات والأرض بالغة من غايات الكمال والجلال ما يقطع علائق أوهام المشابهة بينها وبين صفات الخلق؛ لأن الصفة لايمكن أن تشبه صانعها في ذاته، ولا في شيء من صفاته. وبإجلال تلك الصفة وتعظيمها وحملها على أشرف المعاني اللائقة بكمال من وصف بها نفسه وجلاله يسهل على ذلك المؤمن السلفي أن يؤمن بتلك الصفة ويثبتها لله كما أثبتها الله لنفسه على أساس التنزيه؛ فيكون أولاً : منزها سالماً من أقذار التشبيه، وثانياً : مؤمناً بالصفات مصدقاً بها على أساس التنزيه، فيكون سالما من أقذار التعطيل. فيجمع بين التنزيه والإيمان بالصفات على نحو﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1]، فمعتقده طريق سلامة محققة؛ لأنه مبني على ما تضمنته آية ﴿ليس كمثله شيء﴾ الآية من التنزيه، والإيمان بالصفات، فهو تنزيه من غير تعطيل وإيمان من غير تشبيه ولا تمثيل. وكل هذا طريق سلامة محققة، وعمل بالقرآن ، فهذا هو مذهب السلف»[2].

وقال رحمه الله أيضاً: «والسلف الصالح رضي الله عنهم ما كانوا يشكون في شيء من ذلك، ولا كان يشكل عليهم. ألا ترى إلى قول الفرزدق، وهو شاعر فقط، وأما من جهة العلم فهو عاميّ:

---

(١) سورة الشورى، الآية [١١].

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات صـ٤٧ - ٤٨ . وانظر آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٣.

وكيف أخاف الناس والله قابض على الناس والسبعين في راحة اليد

فمن علم مثل هذا من كون السموات والأرضين في يده جلّ وعلا أصغر من حبة خردل. فإنه عالم بعظمة الله وجلاله، لا يسبق إلى ذهنه مشابهة صفاته لصفات الخلق. ومن كان كذلك زال عنه كثير من الإشكالات التي أشكلت على كثير من المتأخرين»[1].

وبعد أن ذكر الشيخ الأمين رحمه الله طريقة السلف، وبين أنها أعلم وأحكم وأسلم، وشرح لنا موقفهم من صفات الباري سبحانه وتعالى، وذكر أن معتقدهم هو المعتقد الذي لا يخيب معتقده، ولا يضل مسترشده، فهو طريق محقق السلامة. شرع يذكر لنا في المقابل مذهب الخلف، وما يترتب عليه من أخطاء شنيعة، تجعل معتقده يشطط عن الطريق السوي، فيتهجم على صفات الله قائلاً فيها بغير علم ولا هدى؛ فقال رحمه الله: «وأما ما يسمونه مذهب الخلف: فالحامل لهم فيه على نفي الصفات وتأويلها هو قصدهم تنزيه الله عن مشابهة الخلق، ولكنهم في محاولتهم لهذا التنزيه وقعوا في ثلاث بلايا ليست واحدة منها إلا وهي أكبر من أختها: الأولى من هذه البلايا الثلاث: أنهم إذا سمعوا قول الله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾: زعموا أن ظاهر الاستواء في الآية هو مشابهة استواء المخلوقين؛ فتهجموا على ما وصف الله به نفسه في محكم كتابه، وادعوا عليه أن ظاهره المتبادر منه هو التشبيه بالمخلوقين في استوائهم؛ فكأنهم يقولون لله: هذا الاستواء الذي أثنيت به على نفسك في سبع آيات من كتابك ظاهره قذر نجس لا يليق بك؛ لأنه تشبيه بالمخلوقين، ولا شيء من الكلام أقذر وأنجس من تشبيه الخالق بخلقه، سبحانك هذا بهتان عظيم. وهذه هي البلية الأولى التي هي تهجم على نصوص الوحي، وادعاء أن ظاهرها تشبيه الخالق بالمخلوق، وناهيك بها بلية. ثم لما تقررت هذه البلية

(١) أضواء البيان ٢/ ٣٢١.

في أذهانهم، وتقذرت قلوبهم بأقذارالتشبيه، اضطروا بسببها إلى نفي صفة الاستواء فرارا من مشابهة الخلق التي افتروها على نصوص القرآن أنها هي ظاهرها. ونفي الصفة التي أثنى الله بها على نفسه من غير استناد إلى كتاب أو سنة هو البلية الثانية التي وقعوا فيها ؛ فحملوا نصوص القرآن أولا على معان غير لائقة بالله، ثم نفوها من أصلها فراراً من المحذور الذي زعموا»[1]

ثم ذكر رحمه الله الخطأ الثالث الذي وقع فيه المنحرفون عن منهج السلف، فقال : «والبلية الثالثة : أنهم يفسرون الصفة التي نفوها بصفة أخرى من تلقاء أنفسهم، من غير استناد إلى وحي مع أن الصفة التي فسروها بها هي بالغة غاية التشبيه بالمخلوقين ؛ فيقولون : «استوى» ظاهره مشابهة استواء المخلوقين فمعنى استوى : استولى، ويستدلون بقول الراجز في إطلاق الاستواء على الاستيلاء :

قد استوى بشرعلى العراق من غير سيف ودم مهراق

ولا يدرون أنهم شبهوا استيلاء الله على عرشه الذي زعموه باستيلاء بشر ابن مروان على العراق، فأي تشبيه بصفات المخلوقين أكبر من هذا؟. وهل يجوز لمسلم أن يشبه صفة الله التي هي الاستيلاء المزعوم بصفة بشر التي هي استيلاؤه على العراق؟ وصفة الاستيلاء من أوغل الصفات في التشبيه بصفات المخلوقين ؛ لأن فيها التشبيه باستيلاء مالك الحمار على حماره. ومالك الشاة على شاته، ويدخل فيها كل مخلوق قهر مخلوقاً واستولى عليه، وفي هذا من أنواع التشبيه ما لا يحصيه إلا الله»[2].

وبعد ما ذكر الشيخ الأمين رحمه الله هذه الأمور الشنيعة التي وقع فيها

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٨ - ٤٩. وانظر : آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩.

من سلك مسلك الخلف، بين أنهم نتيجة تحريفهم وقعوا في شر مما فروا منه؛ فالسلف أثبتوا صفات الله التي امتدح الله بها نفسه، وأثنى بها عليه رسوله صلى الله عليه وسلم كما يليق بجلاله وكماله، وأهل التحريف أثبتوا صفات ما أنزل الله بها من سلطان، وقالوا كما يليق بجلاله، فأي الفريقين أحق بالأمن؟ وقد قال رحمه الله في بيان حالهم: «فإن زعم من شبه أولاً، وعطل ثانياً، وشبه ثالثاً أيضاً أن الاستيلاء المزعوم منزه عن مشابهة استيلاء المخلوقين. قلنا له: نحن نسألك ونطلب منك الجواب بإنصاف: أيهما أحق بالتنزيه عن مشابهة الخلق: الاستواء الذي مدح الله به نفسه في محكم كتابه، وهو في نفس القرآن الذى يتلى، ولتاليه بكل حرف منه عشر حسنات؛ لأنه كلام الله. أم الأحق بالتنزيه هو الاستيلاء الذي جئتم به من تلقاء أنفسكم من غير استناد إلى وحي؟ ولاشك أن الجواب أن اللفظ الوارد في القرآن أحق بالتنزيه والحمل على أشرف المعاني وأكملها من اللفظ الذي جاء به معطل من كيسه الخالص لامستند له من الوحي، وبهذه الكلمات القليلة يظهر لكم أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم»[1].

وهكذا ختم الشيخ رحمه الله هذه المقارنة التي أظهر فيها معتقد السلف في صفات الله سبحانه وتعالى مبيناً حال أهله عند سماعهم لصفات خالقهم جلّ وعلا، ومؤكداً أن طريقهم طريق سلامة محققة، بخلاف مذهب الخلف الذين تهجموا على صفات الله ووقعوا في أخطاء شنيعة جعلتهم ممقوتين عند أهل الإيمان.

وقد دعا الشيخ الأمين رحمه الله لمن التبس عليه الأمر ممن ابتعدوا عن منهج السلف، وكان مقصدهم حسناً أن يغفر الله لهم وأن يتجاوز عن آثامهم؛ لأنهم لم يتعمدوا تشبيه الله وتعطيله عن صفاته، وإن كان مسلكهم فاسداً مخالفاً لمراد الله سبحانه وتعالى، فقال رحمه الله: «ونحن

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٩ - ٥٠. وانظر: آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٣ - ١٣٦.

نرجو أن يغفر الله تعالى للذين ماتوا على هذا الاعتقاد؛ لأنهم لا يقصدون تشبيه الله بخلقه، وإنما يحاولون تنزيهه عن مشابهة خلقه؛ فقصدهم حسن، ولكن طريقهم إلى ذلك القصد سيئة. وإنما نشأ لهم ذلك السوء بسبب أنهم ظنوا لفظ الصفة التي مدح الله بها نفسه يدل ظاهره على مشابهة صفة الخلق؛ فنفوا الصفة التي ظنوا أنها لا تليق قصداً منهم لتنزيه الله، وأولوها بمعنى آخر يقتضي التنزيه في ظنهم، فهم كما قال الشافعي:

رام نفعاً فضرّ من غير قصد ومن البرّ ما يكون عقوقاً[1]

ونحن نرجو أن يغفر الله لهم خطأهم، وأن يكونوا داخلين في قوله تعالى: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيماً﴾[2]. وخطؤهم المذكور لاشك فيه، ولو وفقهم الله لتطهير قلوبهم من التشبيه أولاً، وجزموا بأن ظاهر صفة الخالق هو التنزيه عن مشابهة صفة المخلوق، لسلموا مما وقعوا فيه. ولاشك أن النبي صلى الله عليه وسلم عالم كل العلم بأن الظاهر المتبادر مما مدح الله به نفسه في آيات الصفات هو التنزيه التام عن صفات الخلق، ولو كان يخطر في ذهنه أن ظاهره لا يليق لأنه تشبيه بصفات الخلق، لبادر كل المبادرة إلى بيان ذلك؛ لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، ولا سيما في العقائد، ولا سيما فيما ظاهره الكفر والتشبيه فسكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن بيان هذا يدل على أن ما زعمه المؤولون لا أساس له كما ترى»[3].

وبذلك يظهر لنا موقف الشيخ الأمين رحمه الله ممن مات على هذا المعتقد؛ حسن الظن في نيته، وأنه لم يتعمد التعطيل وإن وقع فيه، ودعاء الله له بالمغفرة والتجاوز عن المآثم والزلات؛ لأن مقصدهم حسن، لكنهم

---

(١) ديوان الإمام الشافعي صـ٦٧ - جمع / محمد الزعبي.

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٥].

(٣) أضواء البيان ٧/ ٤٤٨ - ٤٤٩.

لم يفلحوا في الوصول إليه.

أما موقفه رحمه الله من معتنقي هذا المذهب من الأحياء: فهو موقف المحذر لهم من سوء العاقبة والمنقلب، فخوفهم بالله، وأمرهم بخشيته، والإيمان بما امتدح به نفسه، وبين لهم أن كلامهم قول على الله بغير علم، وبهتان عظيم؛ فقال رحمه الله: «فاخش الله يا إنسان، واحذر من التقول على الله بلا علم، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه. واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكلّ شيء لا يخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك، فيقول؛ هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك، ولا من رسولك، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك، فاليد مثلاً التي وصفت بها نفسك لا تليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحة. وأنا أنفيها عنك نفياً باتاً، وأبدلها لك بوصف لائق بك وهو النعمة أو القدرة مثلاً، أو الجود، سبحانك هذا بهتان عظيم. ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾[1]»[2].

وهكذا نراه رحمه الله يرجو لمن مات المغفرة والرحمة، ويخاف على الحي، فيعظه ويأمره أن يتدارك نفسه، ويعظم خالقه، فيصفه بما امتدح به نفسه، وأنزله في كتابه، فلا يصف الله أعلم من الله، فهو العليم الخبير.

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان [١٠ - ١١].

(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٤٦ - ٤٤٧.

المطلب الرابع

رجوع بعض أئمة أهل التأويل عن مذهب الخلف إلى معتقد السلف

تفانى أئمة المتكلمين في خدمة مذهب الخلف والدعوة إليه والدفاع عنه، وأفنوا أعمارهم في تقويته وتصويبه، وتضعيف وتجهيل معتقد السلف، ولكن الله غالب على أمره ؛ فمن عليهم بالهداية، ورجعوا إلى معتقد السلف الصالح، فأثبتوا الصفات ونفوا الكيفية.

وقد أثبتوا رجوعهم بمؤلفات حذروا الناس من خلالها من علم الكلام وأهله، وحثوهم على اعتقاد معتقد السلف لأنه الأسلم والأعلم والأحكم.

ولقد كان للشيخ الأمين رحمه الله وقفة متأنية عند هذه الظاهرة ؛ حيث جعلها من الأمور التي تقام بها الحجة على بقية القوم الذين أصروا على باطلهم. ولم يراجعوا مذهبهم.

وقد ذكر رحمه الله رجوع هؤلاء الأئمة إلى معتقد السلف، وحذر من أصر منهم على مذهبه السابق من مغبة فعله، مبيناً له أن الطريق الذي انتهجه غير محمود العاقبة ؛ إذ فيه من التهجم على آيات الله وصفاته، ومن رمي سلف هذه الأمة بالتشبيه والتجسيم الشيء الكثير.

قال رحمه الله : «واعلم أن أئمة القائلين بالتأويل رجعوا قبل موتهم عنه ؛ لأنه مذهب غير مأمون العاقبة ؛ لأن مبناه على ادعاء أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لا تليق بالله ؛ لظهورها وتبادرها في مشابهة صفات الخلق، ثم نفي تلك الصفات الواردة في الآيات والأحاديث لأجل تلك الدعوى الكاذبة المشؤومة، ثم تأويلها بأشياء أخر، دون مستند من كتاب أو سنة أو قول صحابي أو أحد من السلف، وكل مذهب هذه حاله فإنه جدير بالعاقل المفكر أن يرجع عنه إلى مذهب السلف. وقد أشار تعالى في سورة

الفرقان أن وصف الله بالاستواء صادر عن خبير بالله وبصفاته، عالم بما يليق به وبما لا يليق، وذلك في قوله تعالى: ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾[1] ؛ فتأمل قوله: ﴿فاسأل به خبيراً﴾، بعد قوله: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ تعلم أن من وصف الرحمن بالاستواء على العرش خبير بالرحمن وبصفاته، لا يخفى عليه اللائق من الصفات وغير اللائق. فالذي نبأنا بأنه استوى على عرشه هو العليم الخبير الذي هو الرحمن، وقد قال تعالى: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾[2]. وبذلك تعلم أن من يدعي أنّ الاستواء يستلزم التشبيه، وأنه غير لائق: غير خبير؛ نعم والله هو غير خبير، وسنذكر إن شاء الله أن أئمة المتكلمين المشهورين رجعوا كلهم عن تأويل الصفات»[3]. ثم شرع رحمه الله في إيراد هؤلاء السعداء بعاقبتهم فرداً فرداً:

[١] أبو الحسن الأشعري رحمه الله:

أوضح الشيخ الأمين رحمه الله أن أبا الحسن الأشعري رجع عن مذهبه إلى معتقد السلف، كما تدلّ على ذلك مؤلفاته الأخيرة، فهو بريء من أشعرية اليوم الذين يدعون أنه حرف بعض صفات الباري جلّ وعلا.

قال رحمه الله: «فمن ادعى على أبي الحسن الأشعري أنه يؤول صفة من الصفات كالوجه، واليد، والاستواء، ونحو ذلك، فقد افترى عليه افتراء عظيماً. بل الأشعري رحمه الله مصرح في كتبه العظيمة التي صنفها بعد رجوعه عن الاعتزال؛ كـ«الموجز»، و«مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»[4]، و«الإبانة عن أصول الديانة»[5] أن معتقده الذي يدين الله به

(١) سورة الفرقان، الآية [٥٩].
(٢) سورة فاطر، الآية [١٤].
(٣) أضواء البيان ٧/ ٤٦٧ - ٤٦٨.
(٤) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٣٤٥ - ٣٥٠؛ حيث صرح بمعتقده.
(٥) انظر الإبانة صـ١٧. وكذا انظر: رسالة إلى أهل الثغر؛ فهي على معتقد السلف أيضاً.

هو ما كان عليه السلف الصالح من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه سلم . وإثبات ذلك كله من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل. وأن ذلك لا يصح تأويله، ولا القول بالمجاز فيه. وأن تأويل الاستواء بالاستيلاء هو مذهب المعتزلة ومن ضاهاهم، وهو أعلم الناس بأقوال المعتزلة؛ لأنه كان أعظم إمام في مذهبهم قبل أن يهديه الله إلى الحق»(١)

ونقل من كتابه الإبانة، ومقالات الإسلاميين ما يثبت صحة رجوعه إلى معتقد السلف، وتركه لمذهب الخلف.

يقول الإمام أبو الحسن - رحمه الله - بعد ما ذكر أن مذهبه في الصفات هو مذهب السلف - رحمهم الله - ، وأنه يذهب إلى ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : «قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجلّ. وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين. فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفخم، وعلى جميع أئمة المسلمين»(٢).

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٥٤. وانظر: فتاوى شيخ الإسلام ٤/ ٧٢.
(٢) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري صـ ١٧

[١] القاضي أبو بكر الباقلاني [١] رحمه الله:

قال عنه الشيخ الأمين رحمه الله : «أما كبيرهم الذي هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري، وهو القاضي محمد بن الطيب، المعروف بأبي بكر الباقلاني، فإنه كان يؤمن بالصفات على مذهب السلف، ويمنع تأويلها منعاً باتا، ويقول فيها مثل ما قدمنا عن الأشعري»[٢]

ثم نقل الشيخ الأمين رحمه الله من أحد كتب الباقلاني، وهو كتاب «التمهيد» [٢] ما دلل به على صحة رجوعه إلى معتقد السلف وقد نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية نقولاً من الكتاب المذكور تدل على صحة رجوعه إلى مذهب السلف، منها قوله: «فإن قال : فهل تقولون إنه فى كل مكان؟ قيل له : معاذ الله، بل مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾»[٣].

وقال في موضع آخر من كتابه التمهيد : «صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، وهي الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضا . . »[٤]

[٣] إمام الحرمين، أبو المعالي الجويني[٥]:

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله رجوع أبي المعالى الجويني إلى معتقد

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري . أوحد المتكلمين، وكان على طريقة الأشعري. توفي سنة (٤٠٣هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠ . والبداية والنهاية ١١/ ٣٧٣).

(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٣) انظر التمهيد صـ٢٦٠ .

(٤) نقل ذلك عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص٥٨ .

(٥) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني، إمام الحرمين. توفي سنة (٤٧٨هـ) ، وكان من أئمة الأشاعرة.
(انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨ . وشذرات الذهب ٣/ ٣٥٨).

السلف، فقال : «واعلم أن إمام الحرمين أبا المعالي الجويني، كان في زمانه من أعظم أئمة القائلين بالتأويل، وقد قرر التأويل وانتصر له في كتابه الإرشاد، ولكنه رجع عن ذلك في رسالته : العقيدة النظامية[1]»[2]

ثم نقل رحمه الله مقتطفات من هذه العقيدة موضحاً رجوعه إلى معتقد السلف وتوبته من طريقة الخلف .

من ذلك ما ذكره الذهبي من أن الجويني قال لأصحابه في مرض موته : «اشهدوا على أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح، وأني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور»[3] .

ونقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه قال في مرض موته : «لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه . والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنذا أموت على عقيدة أمي . .»[4] .

ويقصد بعقيدة أمه، أو ما تموت عليه عجائز بلده الفطرة الصافية النقية من الشوائب .

[٤] أبو حامد الغزالي[5] رحمه الله :

قال عنه الشيخ رحمه الله : «وكذلك أبو حامد الغزالي . كان في زمانه من أعظم القائلين بالتأويل، ثم رجع عن ذلك، وبين أن الحق الذي لا شك فيه ←

(١) انظر العقيدة النظامية صـ٢٣ - ٢٥ .

(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٧٢ .

وانظر : الفتاوى ٤/ ٧٣ . وشرح العقيدة الطحاوية صـ٢٢٨ . وقد ذكر الذهبي رحمه الله أنه تاب ورجع إلى عقيدة السلف، ونقل نصوصاً من العقيدة النظامية مدللاً على قوله(انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٧٢ - ٤٧٣) .

(٣) انظر مختصر العلو للذهبي صـ٢٧٥ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ٧٣ ,

(٥) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي . ولد سنة (٤٥٠هـ) ، وتوفي سنة (٥٠٥هـ) . وكان من أئمة الأشاعرة والمتصوفة .

(انظر : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢ . وشذرات الذهب ٤/ ١٠ - ١١) .

هو مذهب السلف»[1].

ونقل رحمه الله من كتابه إلجام العوام شواهد مستدلا بها على صحة رجوعه إلى طريقة السلف، وختم ذلك بقوله: «وذكر غير واحد عن الغزالي أنه رجع في آخر حياته إلى تلاوة كتاب الله وحفظ الأحاديث الصحيحة، والاعتراف بأن الحق هو ما في كتاب الله وسنة رسوله. وذكر بعضهم أنه مات وعلى صدره صحيح البخاري رحمه الله»[2].

[٥] الفخر الرازي [3] رحمه الله:

ذكر الشيخ رحمه الله توبته، فقال: «واعلم أيضاً أن الفخر الرازي كان في زمانه أعظم أئمة التأويل، ورجع عن ذلك المذهب إلى مذهب السلف معترفاً بأن طريق الحق هي اتباع القرآن في صفات الله».

ونقل الشيخ الأمين رحمه الله من كتاب الرازي «أقسام اللذات» ما يدل على رجوعه وتوبته.

فمن ذلك ما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من قوله: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولاتروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ اقرأ في الإثبات: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[4]، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٧٣ - ٤٧٤.
وقد ذكر رجوعه إلى معتقد السلف غير واحد من العلماء.
(انظر إضافة إلى مصادر الحاشية السابقة: الفتاوى ٤/ ٧٢. ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ١٦٢. والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٧٣. وشرح الطحاوية ٢٢٧).

(٢) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني، ويعرف بابن الخطيب. كان من أئمة الأشاعرة، وذكر ابن كثير، وغيره أنه رجع إلى معتقد السلف. توفي سنة (٦٠٦هـ).
(انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠ - ٥٠١. والبداية والنهاية ١٣/ ٦٠).

(٣) أضواء البيان ٧/ ٤٧٥.
وقد ذكر رجوعه إلى معتقد السلف غير واحد من العلماء.
(انظر إضافة إلى مصادر الحاشية السابقة: الفتاوى ٤/ ٧٢ - ٧٣. ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ١٦٠. ومجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٩٧. والبداية والنهاية١٣/ ٥٥. وشرح الطحاوية ٢٢٧).

(٤) سورة طه، الآية [٥].

والعمل الصالح يرفعه﴾[1] ، واقرأ في النفي : ﴿ليس كمثله شي﴾[2]، ﴿ولا يحيطون به علماً﴾[3] . ﴿هل تعلم له سمياً﴾[4] . ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[5] .

[٦] الشهرستاني[6].

قال عنه الشيخ الأمين رحمه الله : «وذكروا عن الشهرستاني أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، وقد قال في ذلك :

لعمرى قد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كفّ حائر على ذقن أو قارعا سنّ نادم[7]

وأمثال هذا كثير[8]

وهذا يدلّ على تحيره وتخبطه، واضطرابه في نهاية حياته، وقد فطن إلى ما وقع فيه من تخبط، وتنبه إلى صحة مذهب السلف الموافق للفطرة، فقال كلمته : «فعليكم بدين العجائز فهو من أسنى الجوائز»[9] .

وما ذلك إلا لأن دين العجائز سالم من شوائب علم الكلام وترهاته .

---

(١) سورة فاطر، الآية [١٠].
(٢) سورة الشورى، الآية [١١].
(٣) سورة طه، الآية [١١٠]
(٤) سورة مريم ، الآية [٦٥].
(٥) انظر مصادر الحاشية رقم (٤) من الصفحة السابقة .
(٦) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني. شيخ أهل الكلام. ولد فى شهرستان سنة (٤٧٩). وتوفي سنة (٥٤٨هـ).
(انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨٦ . وشذرات الذهب ٤/ ١٤٩).
(٧) نهاية الإقدام صـ٣.
(٨) أضواء البيان ٧/ ٤٧٥ - ٤٧٦ .
وممن ذكر رجوعه من السلف : ابن تيمية في الفتاوى (٤/ ٧٣) ، وفي درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٩). وابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (ص٢٢٨).
(٩) نهاية الإقدام صـ٢ .

وبعد أن ذكر الشيخ الأمين رحمه الله من رجعوا من أئمة أهل التأويل عن مذهبهم إلى معتقد السلف[1] ، وجه نداء إلى المتعصبين من المتأولة يحثهم فيه على الرجوع إلى الحق والتزام معتقد سلف هذه الأمة ؛ فقال رحمه الله : «فيا أيها المعاصرون المتعصبون لدعوى أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها خبيث لا يليق بالله لاستلزامه التشبيه بصفات الخلق ، وأنها يجب نفيها وتأويلها بمعان ما أنزل الله بها من سلطان ، ولم يقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد من أصحابه ، ولا من التابعين . فمن هو سلفكم في هذه الدعوى الباطلة المخالفة لإجماع السلف؟ إن كنتم تزعمون أن الأشعرى يقول مثل قولكم ، وأنه سلفكم في ذلك فهو بريء منكم ومن دعواكم . وهو مصرح في كتبه التي صنفها بعد الرجوع عن الاعتزال أن القائلين بالتأويل هم المعتزلة ، وهم خصومه وهو خصمهم ، كما أوضحنا كلامه في الإبانة والمقالات ، وقد بينا أن أساطين القول بالتأويل قد اعترفوا بأن التأويل لا مستند له ، وأن الحق هو اتباع مذهب السلف ، كما أوضحنا ذلك عن أبي بكر الباقلانى ، وأبي المعالي الجويني ، وأبى حامد الغزالي ، وأبي عبد الله الفخر الرازي ، وغيرهم ممن ذكرنا»[2] .

وفي الختام يوصيهم بتقوى الله ، وعدم التعرض لصفاته بالتحريف أو التعطيل ، وألا يقولوا على الله بغير علم ، فيقول رحمه الله : «وفي الختام نوصى أنفسنا وإخواننا المسلمين بتقوى الله تعالى ، وعدم التهجم على الله تعالى وعلى كتابه بالدعاوى الباطلة ، والتمسك بنور الوحي الصحيح في

---

(١) وممن رجع إلى معتقد السلف ، ولم يذكره الشيخ الأمين رحمه الله الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين المتوفي سنة (٤٣٨هـ) . وقد ألف رسالة سماها : (إثبات الاستواء والفوقية) ينصح فيها إخوانه بالرجوع إلى معتقد السلف ، ويثبت فيها رجوعه إلى معتقد السلف . وهي تقع فى (١٢) صفحة .
(انظر : مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٧٤ - ١٨٧ . وانظر أيضاً : الأعلام ٤/ ١٤٦ - ١٤٧) .
(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٧٦ .

المعتقد وغيره؛ لأن السلامة متحققة في اتباع الوحى. وليست متحققة فى شيء غيره :

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمت فأعمت[1].

وبهذا البيان الرائع الذي ختم به الشيخ الأمين رحمه الله نصيحته لأهل التأويل، ولم يبق أمام أصحاب العقول السليمة من المتأولة المعاصرين - بعد أن تبرأ كبار أئمتهم وشيوخهم من هذه العقيدة الفاسدة، وحذروا منها، وأعلنوا رجوعهم عنها إلى معتقد السلف - إلا أن يراجعوا مذهبهم، ويرجعوا عنه إلى معتقد السلف؛ إذ لا عذر لأحد منهم بعد أن أعلن أئمتهم المتبوعون رجوعهم إلى المعتقد الحق، وماتوا عليه.

(٣) آداب البحث والمناظرة ٢/ ١٣٦. وانظر أضواء البيان ٧/ ٤٧٦ - ٤٧٧.